الدور السياسي لقبائل الطوارق في بلاد السودان الغربي في عصر مملكتي مالي وصنغى (636–1000هـ / 1238–1591م)

أ. إيهاب شعبان عبد الشافي(*)

أ.د. حسين مراد(**) د. بطل شعبان(***)

• **مُلخص:**

يعرض البحث لموضوع مهم ألا وهو الدور السياسي للطوارق في بلاد السودان الغربي عصر مملكتي مالي وصنغي (636 – 1000 هـ / 1238 – 1591 م)، ويبدأ بمقدمة تعريفية بالسودان الغربي، مع إعطاء نبذة عن مملكتي مالي وصنغي وقبائل الطوارق وأسباب هجرتهم للسودان الغربي. وينقسم البحث لخمسة محاور رئيسة: يعرض المحور الأول للتعريف بالسودان الغربي. ويبين المحور الثاني الوضع السياسي للطوارق في مجتمع السودان الغربي، وهو يكشف عن الثقل السياسي للطوارق في السودان الغربي، ونجاحهم في تأسيس بعض المدن، فضلاً عن سيطرتهم على عدد المدن المهمة إبان فترات ضعف مملكتي مالي وصنغي. أما المحور الثالث فيكشف عن أثر الطوارق على نظم الحكم، تلك التنظيمات التي ميزتهم عن القبائل الأخرى الوافدة على مجتمع السودان الغربي، وتبين تلك التنظيمات تأثير تنظيمات الطوارق على الكيانات السياسية ونظم الحكم القائمة بها. ويبين المحور الرابع علاقة الطوارق بالسلطات الحاكمة في تلك الفترة، والتي تمثلت في مملكتي مالي وصنغي، وقد تأرجحت العلاقات بين العداء والتحالف طبقًا لقوة وضعف المملكتين، ونجاح الطوارق في انتهاز الفرص لتحقيق طموحاتهم السياسية أحيانًا. أما المحور الخامس والأخير فقد كشف عن الدور الحربي للطوارق في مجتمع السودان الغربي، ودخولهم في صراع سياسي مع بعض حكام مملكتي مالي وصنغي، ونجاحهم في إقامة كيانات سياسية لهم، أيضًا كشفت الدراسة عن التحالفات العسكرية بين الطوارق وبعض حكام المملكتين، مما يبين الثقل السياسي الذي تمتع به الطوارق في السودان الغربي إبان هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: الطوارق، السودان الغربي، مملكة مالي، مملكة صنغي

(*) باحث دكتوراه بقسم التاريخ بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(**) أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(***) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

The political role of the Tuareg tribes in Western Sudan in The era of the Kingdoms of Mali and Songhay (636–1000 AH / 1238–1591 AD)

Ehab Shabaan Abd ElShafy
Prof.Dr. Hussein Murad Dr. Batal Shaaban

• Abstract:

The research presents an important topic, which is the political role of the Tuareg in Western Sudan during the era of the Kingdoms of Mali and Songhay (636 - 1000 AH / 1238 - 1591 AD). It begins with an introduction that defines Western Sudan, giving an introductory overview of the Kingdoms of Mali and Songhay and the Tuareg tribes and the reasons for their immigration to Western Sudan.

The research is divided into five main axes: The first axis presents the role that played by the Tuareg in the establishment of the kingdoms of Mali and Songhay, and shows the impact of the Tuareg on the prosperity of the two Kingdoms.

The second axis shows the political situation of the Tuareg in Western Sudanese society. It reveals the politically exposed of the Tuareg in Western Sudan, and their success in controlling a number of its cities during periods of weakness of the Mali and Songhay Kingdoms.

The third axis reveals the political organizations of the Tuareg, those organizations that distinguished them from other political entities in Western Sudanese society, and which shows the influence of the Tuareg organizations on them, especially their influence on the Tuareg custom of iinheritance of power to their nephew. The research discussed what historians mentioned about the reasons for this custom.

The fourth axis shows the relationship between Tuareg and the ruling authorities in that period, which were represented by the kingdoms of Mali and Songhay. Relations fluctuation between hostility and alliance according to the strength and weakness of the two kingdoms, and the success of the Tuareg in seizing opportunities to achieve their political ambitions.

As for the fifth and final axis, it revealed the military role of the Tuareg in Western Sudanese society, their entry into a bloody political conflict with some rulers of the kingdoms of Mali and Songhay, They success in establishing political entities for themselves. The study also revealed the military alliances between the Tuareg and some of the rulers of the two kingdoms, which shows the politically exposed, that the Tuareg enjoyed in Western Sudan during this period.

Keywords: Tuareg, Western Sudan, Kingdom of Mali, Kingdom of Songhay

- **مقدمة:**

تعد قبائل الطوارق من أبرز القبائل الوافدة على بلاد السودان الغربي (غربي أفريقيا حاليًا) خلال العصر الإسلامي. وقد بدأ وصولهم لتلك البلاد ضمن قبائل الملثمين من بربر لمطة وجدالة ومسوفة وغيرها، وكان هذا في عصر مملكة غانة، لكن ما أوردته المصادر عنهم خلال تلك المرحلة لا يتعدى الإشارات العابرة التي لا يمكن أن تسعفنا في تتبع الدور الذي أسهم به الطوارق في المجتمع السوداني.

من هنا كان اختيارنا لموضوع الدور السياسي للطوارق عصر مملكتي ومالي وصنغي، نتيجة لبروز دورهم بشكل أكثر وضوحًا خلال عصر هاتين المملكتين من ناحية، ومن ناحية أخرى ما أثير حول الطوارق ودورهم في المجتمع السوداني من جدلٍ، وتحجيم دورهم في إطار صراعهم مع السلطة ومواجهاتهم الحربية معها؛ وكان هذا يستدعي إعادة النظر في دور الطوارق على كافة الأصعدة، ومنها الصعيد السياسي.

وفضلًا عما سبق فإن اختيار قبائل الطوارق للدراسة والبحث يرجع إلى تميزهم عن غيرهم من القبائل الوافدة الأخرى سواء من العرب أم البربر في كونهم الوحيدين الذين كانت لهم طموحات سياسية كشفت عنها المصادر، وأهمها الرغبة في تشكيل كيانات سياسية مستقلة، وليس مجرد الاكتفاء بالنشاط التجاري أو الثقافي أو الديني أو جميعهم. وكان ذلك سببًا في خلاف الطوارق مع الأسر الحاكمة في السودان الغربي.

أما اختيار عصري مالي وصنغي فيرجع إلى الوفرة النسبية في المادة المتوافرة بالمصادر عن الطوارق خلال تلك الفترة محل البحث، وتلك الوفرة ليست مقتصرة على موضوع الطوارق فحسب وإنما هي وفرة نسبية في المصادر المتعلقة بتاريخ الممالك الإسلامية في السودان الغربي. ومن خلال الإشارات الواردة عن الطوارق خلال تلك الفترة يمكن رسم صورة عن دور الطوارق السياسي.

أولًا- التعريف بالسودان الغربي:

يشير مصطلح السودان الغربي إلى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي غربًا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقًا، شمال خط

الاستواء وجنوب الصحراء الكبرى بين خطي عرض 11ْ و17ْ شمالاً[1]. وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى، وبذلك فإن هذه المنطقة تمتد بين خط الاستواء جنوبًا ومدار السرطان شمالاً، ويجري بها نهري السنغال والنيجر[2]. وتبلغ هذه المنطقة في مساحتها نحو سبعة ملايين كيلو متر مربع[3].

وقد شهد السودان الغربي قيام مملكتين اسلاميتين مزدهرتين هما مملكتي مالي وصنغي، أما مملكة مالي فقد أنشئت على يد شعب الماندنجو، ومؤسسها هو الملك سندياتا (636– 653هـ / 1023– 1255م)، وأشهر ملوكها قاطبة منسا موسى (712–737هـ/ 1312–1337م)، ففي عهده امتدت رقعة مالي بين نهر السنغال في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق، وازدهرت المملكة في عهده. [4]

أما مملكة صنغي فهي تعد أقدم الممالك التي قامت في السودان الغربي، وأيضًا آخر وأكبر الممالك التي ازدهرت في منطقة السودان الغربي خلال العصر

---

[1] ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت 673هـ/1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1970، ص 10؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص137؛ حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن 2-6هـ/8-12م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الإسلام في أفريقيا، الكتاب الحادي عشر، 2006، ص373.

[2] إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1954، ص 142.
- Hunwick, J.: A Region of the Mind: Medieval Arab views of African geography And ethnography and their legacy, Sudanic Africa, No.16,(2005), pp.111-112.

[3] محمد أنور توفيق أبو علم: مملكة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 1977، ص19.

[4] ابن خلدون(عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ خليل شحادة،،ج6 ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ، ص266– 268؛ إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 74.

الإسلامي[1]. قد عرف شعب صنغي أربع أسر حاكمة، ظهرت الأسرة الأولى قبل الميلاد بأكثر من عشرة قرون على الأقل[2] ويعنينا هنا الأسرة الثالثة التي نجحت في القضاء على مملكة مالي، وهي أسرة آل سني، ومؤسسها سني علي كولن وأخوه سليمان نار[3]، وتكونت هذه الأسرة الحاكمة من واحد وعشرين ملكًا[4]. وكانت أسرة الأساكي هي الأسرة الرابعة التي حكمت صنغي، وقد تأسست هذه الأسرة بزعامة أسكيا الحاج محمد الكبير (898 – 935هـ/1493–1528م) [5].

أما الطوارق أو كما يطلق عليهم "عرب الصحراء الكبري"[6] فقد نزحوا الي السودان الغربي بسبب الحروب بين القبائل العربية وحروب الشمال الأفريقي من قبل الرومان والوندال. [7]. ومنذ أن انتشر الإسلام ببلاد المغرب تمكنت قبائل الملثمين ومنهم طوارق لمطة ولمتونة وجدالة ومسوفة من الوصول لبلاد السودان الغربي في عصر مملكة

---

[1] قمر الدين محمد فضل الله: "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468– 1591"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987، ص 215.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 7.

[3] هارون المهدي ميغا: إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 37، السنة 23، يونيو 2007، ص 119، 141.

[4]) السعيدي(عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت 1067هـ/1656م): ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تتبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، نشره هوداس، مطبعة أنجي، باريس، 1898، ص 3،6.

[5]) عبد القادر زبادية:مرجع سابق، ص 28.

- Koubbel . L .E: Puissance De Songhay, Essai De l'étude d'un régime Socio-politique, Publications De Scientifiques, Moscou, 1974, p. 271.

[6]) السعيدي : مصدر سابق ، ص 51 ، عمر الأنصاري : الرجال الزرق(الطوارق، الأسطورة والواقع)، دار الساقي، 2017، ص 26

[7]) Ramsussen, S. : Disputed Boundaries: Touareg Discourse on Class and Ethnicity Ethology, Vol. 31, No.4 (olt.,1992) , pp.122-127.

غانة، وأسهموا في نشر الإسلام بها، وتوطيد أقدامهم في السودان الغربي[1]. وسوف ننتقل الآن للحديث عن الطوارق ووضعهم السياسي في عصر مملكتي مالي وصنغي.

ثانيًا– الوضع السياسي للطوارق في عصر مملكتي مالي وصنغى:

تسعى هذه النقطة للبحث عن الوضعية السياسية للطوارق وقت قيام مملكتي مالي وصنغي، وإن كانت المصادر لا تفصح عن هذه الوضعية، باستثناء بعض الإشارات النادرة التي سنحاول من خلالها الكشف عن وضع الطوارق السياسي في تلك المرحلة التاريخية المهمة، لأن هذا من شأنه أن يكشف عن طبيعة العلاقة بين الطوارق والسلطات الحاكمة في كل من مالي وصُنغي. لكن قبل ذلك حري بنا أن نبين وضعية الطوارق السياسية قبل عصر مملكة مالي.

لقد سعى الطوارق منذ قدومهم إلي منطقة السودان الغربي إلى إقامة كيان سياسي لها بين مجتمع السودان الغربي، وتعد قبائل صنهاجة من القبائل التابعة للطوارق، والتي كان لها وجود سياسي بالمنطقة، وأهمهم قبيلة مسوفة، والتي تعد من أكثر القبائل الصنهاجية شهرة بسبب عملها في استخراج وبيع الملح بتغازة، واستقرارها في مناطق مهمة لحركة التجارة عبر الصحراء، مما أدي إلي زيادة سلطانها، فتمركزت حول منعطف نهر النيجر، خاصة عشائر أمقشرن التي تتبع الطوارق، فكانت تنتجع في تلك المنطقة، واعتادت على قضاء الصيف بموقع خاص على ضفة النهر، فشيدت قرية اسمها " أمظغ"، كما انتهى الأمر ببعض تلك العشائر إلى تأسيس مدينة تنبكت في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[2]. وهو ما يشير إلى تطلع الطوارق للاستقلال بأنفسهم من خلال إيجاد كيانات سياسية مستقلة خاصة بهم، تمثلت في تأسيسهم لعدد من المدن.

---

[1]) البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت 487هـ/1094م): المغرب في بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د . ت ، ص 177.

2) السعيدي : مصدر سابق، ص 164، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنبكت، ص 465، جبريل ت . نياني : مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع : أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو ، 1988، ص 133.

كما تمتع طوارق جدالة[1] بمكانة سياسية واقتصادية عظيمة، إذ احتلوا النطاق الممتد من صحراء أزواد إلى المحيط الأطلسي، ثم امتدت جنوباً نحو بلاد السودان الغربي ، واتخذوا من مدينة أوليل، مركزاً لهم، حيث يكثر الملح الذي تحمله القوافل إلى الشمال والجنوب[2].

وكانت هذه القبيلة تستقبل القوافل المحملة بالذهب من بلاد السودان الغربي [3]، لذلك حق لابن خلدون القول أن قبيلة جدالة فازت بالذهب الأوفر من السنغال بتجارة الملح والتبر والرقيق [4]، وبذلك نجحت قبائل صنهاجة من الملثمين في الحصول على وضع سياسي مميز، لقوة مركزهم الاقتصادي، لاشتغالهم بتجارة القوافل عبر الصحراء.

---

1) قبيلة جدالة هي احدي قبائل صنهاجة، كانت مضاربها تصل حتي مصب نهر السنغال، واتخذت مدينة أوليل مركزاً لها حيث يكثر بها الملح، الذي كانت تحمله القوافل من الشمال إلى الجنوب، وكانت هذه القبيلة قريبة جداً من غانة وصنغي، وقريبة من أودغست وكانت أقرب قبائل الطوارق إلي بلاد السودان وقال عنها الإدريسي بأنها جزيرة قريبة من ساحل نهر النيجر، ولا يعلم في السودان غيرها. انظر: الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت 560هـ/1164م): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق روبيناتشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994،ص128. ؛ أيضاً انظر: حسن أحمد محمود : قيام مملكة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة د. ت ، ص46.

2) البكري : مصدر سابق، ص 132.

3) القلقشندي: مصدر سابق، ج5، ص 275

4) ابن خلدون: مصدر سابق ،ج6، ص 181 – 182 ، وقد أفاد ابن خلدون بأن الطوارق يصل عدد قبائلها إلى أكثر من سبعين قبيلة، أشهرها جدالة ولمتونه ومسوفه، قدمت من اليمن والجزيرة العربية إلى الشمال الأفريقي ومنها إلى غرب أفريقيا عبر هجرات متتالية، وأكد أيضاً أنهم بطون صنهاجة ، وهم كثير منهم ملكانه وانجفه وشرطه ولمتونة ومسوفة وكدالة ومندلة وبنو وارث، وأن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطناً، وأن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر، ومواطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقية، للمزيد انظر ابن خلدون : المصدر السابق،ج6، ص 202 ؛ وأيضاً الشاوي اللاله البكاي أماهين: الطوارق عبر العصور ، تحقيق أ / إصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2007، ص 34 .

1- الوضع السياسي للطوارق في عصر مملكة مالي الإسلامية:-

بعد انهيار مملكة غانة[1] الوثنية على أيدي قبائل الصوصو[2] عام 469هـ / 1096م، حدث فراغ سياسي في المنطقة، الأمر الذي جعل الأقاليم التي كانت تابعة لغانة تطالب باستقلالها الذاتي، كما حدث صراع علي السلطة انتهي بوصول قبائل الماندنجو القاطنة في إقليم كانجابا إلي سدة الحكم[3].

أما عن أصل قبائل الماندنجو مؤسسة مملكة مالي، فقد ذكر السعيدي أن أصلهم سوداني محلي عندما قال عن أهل مالي "وهم سودان في الأصل"[4]، وقد تفرع الماندنجو إلي عدة بطون هي السونينكي، والونقارة، والملنكي[5]، والبمبارة، والسامانكي[1]، ويعد العنصر الأساسي لشعوب منطقة السودان الغربي [2].

---

[1]) غانة : ورد ذكرها عند البكري بأنها مدينتان على ضفتي نيلها، إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار، انظر البكري : مصدر سابق ، ص 175 .

2) قبائل الصوصو Su-Su فرع من الفولانيين هاجر من تكرور واتجه شرقاً إلي إقليم كانجابا في حوض نهر النيجر، حيث أسس طبقة حاكمة ومملكة اتسعت فيما حولها في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وحطم الصوصو امبراطورية غانة الإسلامية عام 599هـ /1203م واصطدموا بمملكة مالي النامية في كانجابا. أنظر إبراهيم طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص76 ؛ حسين سيد عبدالله مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، يناير 2006م، ص97.

3) آدم عبد الله الألوري : موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1965م، ص 155 .

4) السعيدي: مصدر سابق، ص9.

5) يعد الونقارة والملنكي من بطون الماندنجو، فمحمود كعت أشار إلي أنهما من أصل واحد، ويشير الملنكي إلى الجندي ، وونقري إلى التاجر، وقد هاجر الونقارة من وسط غانة واستقروا في المدن المحيطة بالنيجر، وهي مدن جني وتنبكت وجاو، وكان الدور الأكثر وضوحاً للونقارة هو قيامهم بدور الوكلاء التجاريين بين تجار مالي وتجار صنغي. أنظر: محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت 1002هـ/1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، 1913،ص38 ؛

قاد هذه القبائل الملك سندياتا كيتا في الفترة (636– 653هـ / 1023– 1255م) نحو حرب مملكة الصوصو بزعامة سومانجورو كانتي Sumanguru Kante، وانتهت المعركة بانتصار سندياتا على غريمه، وضم أملاكه إلى مملكته، وكان ذلك عام 638هـ / 1240م[3]. وقد استطاع تكوين مملكة قوية مترامية الأطراف[4]، وعرف سندياتا باسم ماري جاطة أي الأمير الأسد[5]. وبذلك ظهرت مملكة مالي الإسلامية، وكانت تضم الأجزاء الشمالية إلى جانب الإقليم الجنوبي، وهي تضم الآن اليوم ثلث موريتانيا ومالي والنيجر والسنغال وبوركينافاسو وثلث نيجيريا. وذكر القلقشندي (ت عام 821هـ/1318م) حدودها آنذاك قائلاً: "وحدها في الغرب البحر المحيط وفي الشرق بلاد البرنو وفي الشمال جبال البربر[6] ومن الجنوب الهمج"[1].

- Lovejoy, P. : The Role of the Wangara in the economic transformation of the central Sudan in the fifteenth and sixteenth centuries. The journal of African history, vol.19, no.2, Cambridge (1978), p.177.

1) الحاج موسي أحمد كامره: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تقديم وتحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010، ص38 ؛ ابراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص30.

2) عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998، ص 24.

3) آدم عبد الله الألوري : مرجع سابق، ص 155 .

4) القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ/1418م) : صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د . ت ، ص293 ؛ عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961، ص 141.

5) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج 6، ص 200 ؛

- Conrad, D : Empires of Medieval West Africa Ghana, Mali, and Songhay, Acid-Free Paper, U.S.A 2005, P. 26

6) البربر : هم العرب السكان الأصليون لشمال إفريقيا ، وقد أطلق عليهم الرومان كلمة بربر.

نقل سندياتا – الملقب بماري جاطة – العاصمة جارب أو إلى مدينة نياني [2] ، والتي يقال أنها أسست عام 646هـ / 1248م ثم استولى بعد ذلك على مناجم الذهب، وتوسع نحو الغرب حتى وصل إلى وادي نهر غمبيا وبلاد التكرور[3]، وتوفي ماري جاطة عام 653هـ / 1255م، وكان عهده مشرقاً تطورت فيه كافة أنشطة المملكة، وأحدث توازناً بين قبائل الفلان وقبائل الطوارق وباقي القبائل الأخرى[4].

خلال تلك المرحلة المهمة من عمر مملكة مالي كان للطوارق وزن وثقل سياسي كبير في بلاد السودان الغربي، وليس أدل على ذلك من نجاحهم في تأسيس بعض المدن المهمة، وأول هذه المدن مدينة تادمكة أو "السوق" التي أسسها الطوارق واستقروا بها[5].

تقع تادمكة على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى وسط مرتفعات إقليم أضغاغ (أدرار إيفوغاس) أو طغاغ أو ضغاغ حسبما ورد في "خبر السوق"[6]، ولذا أطلق

---

1) القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ، ص 212. انظر كذلك؛ الحسن الوزان(الحسن بن محمد الوزان، ت 960هـ/1552م): وصف أفريقيا ، ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ص 164.

2) نياني : مدينة تقع قرب اتصال نهر النيجر بفرعه سانكاراني واشتهرت باسم مالي أو مل – أو ملي وصار اسمها علماً على مملكة الماندنجو وذكرها صاحب الفتاش باسم "ينع" انظر كعت : مصدر سابق، ص 56.

3) كعت: مصدر سابق، ص55 ؛ ابراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية، ص 43.

4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج5، ص 433 ؛ نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،1974م، ص50.

5) تقع تادمكة في بلاد السودان، وهي أشبه بلاد الدنيا بمكة، ومعني تاد في لغتهم هيئة، أي هي على هيئة مكة. انظر الحميري(محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900هـ/1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص128.

6) مجهول: خبر السوق، تقديم وتعليق عبد الحميد الهرامة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003، ص21.

التادمكيون على أنفسهم اسم "كل أضغاغ"، وكل بمعنى: أهل، وأضغاغ تعني: الجبل بلغة قبائل الطوارق[1]، ولذا فإقليم أضغاغ ليس المقصود به إقليم كاغ أو جاو[2] الذي يقع إلى الجنوب من أضغاغ كما ظن البعض[3]. أما ما ذكره ابن سعيد (المتوفى عام 673هـ/1275م) بشأن وقوع تادمكة جنوبي جبل لونيا الغربي[4]، فهو غير صحيح أيضًا، فجبل لونيا أو (مرتفعات الآير) كانت موقعًا لمدينة تكدا[5] التي تقع جنوب غرب

---

(1) أحمد أبا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2017، ص280.

(2) تقع جاو أو كاو كاو أو كوكو عند بداية المنحنى الثاني أو الشرقي لنهر النيجر على الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى. أصبحت هذه المدينة عاصمة لمملكة صنغي وهي واحدة من أهم الممالك الإسلامية في السودان الغربي خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة. وكانت كوكو تنقسم لمدينتين: مدينة الملك ومدينة المسلمين خلال القرن الخامس للهجرة، انظر: البكري: المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 181، 183؛ حسين مراد: "مملكة صنغاي"، مجلة قراءات أفريقية، العدد الثالث عشر، رجب – رمضان 1433هـ/ يوليو – سبتمبر 2012م، ص16.

(3) راجع تقديم الدكتور عبد الحميد الهرامة لكتاب خبر السوق، ص 15، وانظر هامش رقم 3، ص21.

(4) الغرناطي (علي بن موسي بن سعيد ت 679هـ): الجغرافيا، تحرير وتعليق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص84، 85؛ الغرناطي (علي بن موسي بن سعيد): كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، حققه خوان خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص 49.

(5) تكدا مدينة تقع في شمال النيجر حاليًا، عدت من أهم المراكز التجارية على الطريق الشرقي لبلاد الهوسا (في نيجيريا حاليًا). وقد اشتهرت هذه المدينة بمنجم النحاس، انظر: ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص275–277؛ عبد الله سالم بازينة: إنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2010، ص147، 148. انظر الخريطة رقم (5) بالملاحق، ص79.

تلك المرتفعات، بينما موقع تادمكة في مرتفعات الأدرار إيفوغاس وليس جبل لونيا[1]. وبهذا خلط بعض الباحثين بين موقع مدينة تكدا وموقع تادمكة[2].

وبهذا فإن تادمكة تقع في قلب الصحراء الكبرى إلى الجنوب من إقليم الهقار بالجزائر الحالية، وشمال بلاد السودان الغربي[3]، بل كانت مدخلاً لتلك البلاد، ولكنها لم تكن ضمن حدودها السياسية[4]؛ وغرب إقليم آير، وشرق بلاد شنقيط (موريتانيا حاليًا). وتوجد أطلال تادمكة اليوم بولاية كيدال أقصى شمالي دولة مالي، وامتازت بوقوعها بالقرب من ملتقى طرق التجارة عبر الصحراء، الرابطة بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي والأوسط[5]. كما تنبع أهمية تادمكة من موقعها في

---

(1) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 2004، حاشية رقم 3 ص 539، انظر أيضًا ص546.

(2) ذكر الدكتور إبراهيم السلمي اعتمادًا على ما أورده ابن سعيد أن تادمكة تقع جنوبي جبل لونيا على الطرف الغربي منه، وهذا غير صحيح كما أشرنا، انظر إبراهيم بن عطية الله السلمي: "مدينة تادمكة في العصر الإسلامي: من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري/القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 66، 2016، ص291.

(3) يعبر مصطلح السودان الغربي عن المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي غربًا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقًا، وتقع هذه المنطقة شمال خط الاستواء، وجنوب الصحراء الكبرى بين خطي عرض 11 و 17ْ شمالاً، وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب، انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص10؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص137.

(4) ذكر أحد الباحثين أن تادمكة كانت تقبع في السودان الغربي زمن العصور الإسلامية، وهذا غير صحيح، انظر ، إبراهيم بن عطية الله السلمي: مرجع سابق، ص289.

وهذا التوطين لموقع تادمكة غير صحيح، فخلال العصر الإسلامي كانت مملكة صحراوية تقع في المنطقة الفاصلة بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي، وتقع أطلالها في الوقت الحالي ضمن حدود دولة مالي في غربي أفريقيا.

(5) Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria, "New Light on the Early Islamic West African Gold Trade: Coin Moulds from Tadmekka", Mali, Antiquity, Vol. 85, 2011, pp.1353, 1356.

شمال شرق منحنى نهر النيجر حيث توجد مدينة جاو، التي تبعد عنها بحوالي تسع مراحل. وقد ساعدها موقعها هذا في المساهمة بفاعلية في التجارة عبر الصحراء الكبرى؛ لوقوعها على نهاية الطريق الأوسط الذي يعبر الصحراء نحو بلاد المغرب الإسلامي، فأصبحت النهاية الرئيسة لهذا الطريق[1]. ومما زاد من أهميتها أيضًا وقوعها على الطريق الرابط بين بلاد السودان الغربي ومصر[2].

تمتعت هذه المدينة بشهرة كبيرة، بحكم موقعها التجاري المتميز[3]، كما كانت مركزًا ثقافيًا بجانب كونها مركزًا تجاريًا، وأصبحت مدينة علم وصلاح؛ نتيجة تجمع حجاج بلاد السودان بها قبل انطلاقهم للأراضي المقدسة. وقد شهدت تادمكة ازدهارًا كبيرًا خلال القرون الستة الأولي للهجرة، وخاصة في الفترة الممتدة من القرن الثالث حتي القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي، ولكن بدأ دورها يتراجع مع نهاية هذا القرن، مما جعل الطوارق يهاجرون منها بحثًا عن مدن أكثر ازدهارًا سواء اقتصاديًا أو سياسيًا، لتطلعاتهم السياسية ووجدوا ضالتهم في مدينة تنبكت. أما عوامل خراب تادمكة، فهي عوامل سياسية واقتصادية، وقد تمثلت العوامل السياسية في الغزوات التي شنت ضدها، مثل الغزو الغاني المرابطي عام 476هـ/ 1083م[4]، أما العوامل الاقتصادية فقد تمثلت في فقدان دورها في التجارة عبر الصحراء خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهو ما أكده كل من العمري والقلقشندي "ولا يد تمتد

---

(1) Lydon, Ghislaine, On Trans-Saharan Trails: Islamic Law, Trade Networks, and Cross-cultural Exchange in Nineteenth Century Western Africa, Cambridge University Press, New York, 2009, p.61.

(2) بطل شعبان محمد: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص26، 27؛ جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص266–268.

3) مجهول: خبر السوق، تقديم وتعليق عبد الحميد الهرامة، منشورات مركز جها والليبيني للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003، ص4، خالدي مسعود: مرجع سابق، ص211.

4) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص165. أحمد الشكري: صفحات من تاريخ ولاته، مجلة قراءات إفريقية، ع34، 2017، ص18.

لهم على نسبه".[1]، لكن رغم ذلك رفض بعض الطوارق ترك تادمكة والهجرة إلى تنبكت، واستمر استقرار بعضهم بها حتى القرن الثامن للهجرة[2].

وعمومًا فإن تادمكة لم تكن ذا ثقل سياسي كبير في عصر مملكة مالي، فقد أصبحت مجرد مستقر سكني لبعض الطوارق ومنتجعًا لماشيتهم، وحرص هؤلاء السكان على عدم هجر المدينة ارتباطًا بها وافتخارًا بالانتساب إليها، فأطلقوا على أنفسهم "كل السوق"، أي: أهل السوق[3].

وبالإضافة إلى تادمكة نجح الطوارق في السيطرة على مدينة ولاتة أو إيولاتن[4]، والتي غدت في عصر مملكة مالي؛ مدينة بربرية صحراوية يحكمها الطوارق[5]، ولعبت دورًا مهمًا كبوابة غربية لعبور التجار إلى السودان الغربي، وهذا ما ذكره ابن بطوطة في رحلته أنها "أول عمالة للسودان"، وكانت آخر ثغور مملكة مالي، وكان يحكمها البيض من الطوارق[6]. وقد تحولت ولاتة إلى سوق كبير، وتوافد التجار إليها من سائر البلاد المغربية من ورجلان وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتافيلات وفاس والسوس.[7]

---

1) العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسان وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، 2001، ص4، 81، القلقشندي: مصدر سابق ، ج5، ص204.

2) Farias:Arabic Medieval Inscriptions from the Republic of Mali: Epigraphy, Chronicles, and Songhay-Tuareg History, Published for the British Academy by Oxford University Press, New York, 2003, pp.117, 118.

– بطل شعبان محمد: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص17.

(3) بطل شعبان محمد: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص16.

4) تقع ولاته بموريتانيا إلى الشرق من الهقار. انظر: الشاوي الإله البكاي أماهين: المرجع السابق، ص30.

5) مارمول كربخال : أفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد زنيبر وآخرين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط ، 1989م ، ص 137؛ خالدي مسعود : مرجع سابق، ص 314

6) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، ج2، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص676.

7) الوزان: المصدر السابق، ص530، السعيدي: المصدر السابق، ص21، عبلة محمد سلطان: العناصر المغربية في السودان الغربي، ودورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتي نهاية مملكة سنغاي، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1999م، ص92.

ويرجع سبب تردد التجار على ولاته واستقرارهم بها إلى توفر الأمن والأمان، وقد عبر عن ذلك ابن بطوطة بقوله: "فلا يخاف المسافر فيها، ولا المقيم من سارق ولا غاضب، مع عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان....". [1] ولذلك كان توافد التجار إليها سواء من العرب أو البربر ظاهرًا، فقد ذكر ابن بطوطة أنه لما عزم دخول المدينة قام تاجر صديق له من سلا بتأجير منزلا له قبل وصوله، ومن المرجح أن أكثرية التجار كانوا من الطوارق. [2] الذين سكنوها لما شهدت ولاته من أوج ازدهارها السياسي والاقتصادي في عصر مملكة مالي، إلا أن أحوالها تغيرت بعد ذلك، فقد هجرها الطوارق وبقية السكان إلى مدينة تنبكت في عصر مملكة صُنغي، وقد أشار السعيدي إلى ذلك بقوله: "فكانت عمارة تنبكت خراب بيط أي ولاتة"[3].

أما أبرز مدينة أسسها الطوارق على الإطلاق فكانت مدينة تنبكت فقد نجح طوارق مقشرن في تأسيس هذه المدينة في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكانت اقامتهم بها لرعي أغنامهم، فكانوا يقيمون في فصل الصيف على ضفاف نهر النيجر في قرية "أمدنحة" ثم يرجعون في الخريف إلى أوطانهم في أروان شمال تنبكت، وخلال تجمعات العديد من الطوارق تحول المكان إلى سوق كبير للتبادل التجاري بين تجار الشمال والجنوب، وظلت تنبكت تتسع وتكبر حتى تحولت إلى مدينة ومركز تجاري كبير فهي تقع على بوابة الصحراء الكبرى حتى احتلت مركزاً مرموقاً كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب الإسلامي إلى السودان الغربي[4].

---

[1]) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج2، ص675.

[2]) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج2، ص676. السعيدي: المصدر السابق ، ص5.

[3]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص677، السعيدي: المصدر السابق، ص22.

4) السعيدي: مصدر سابق، ص21؛ أحمد بلعراف التنبكتي : إزالة الشك والريب في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، سلسلة: من التاريخ الثقافي المشترك لأفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، بدون ناشر، 2000، ص 45؛ فليكس

ومع تزايد أعداد الطوارق تحولت تنبكت إلى سوق كبير للتبادل التجاري بين تجار الشمال والجنوب، وقد لعب موقعها المتميز دورًا كبيرًا في هذا التطور، فهي تقع على بوابة الصحراء الكبرى، وقد احتلت مركزًا مرموقًا كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال الإفريقي إلى السودان الغربي، وبالتالي عمل الطوارق على تأمين طرق القوافل التجارية لجميع مدن السودان الغربي[1].

وقد أكد السعيدي (المتوفي عام 1067هـ/ 1656م) على ما شهدته تنبكت من اتساع وازدهار، وإن كان ذلك سبب في خراب المدن المجاورة لها التي هجرها أهلها بعد ازدهار تنبكت ملتقي القوافل التجارية عبر الصحراء[2]، وقد أضاف وقوعها على ضفة نهر النيجر ثقلاً سياسيًا واقتصاديًا لممالك السودان الغربي، وذلك لوفرة المياه، وهو ما ينقص المدن الأخرى[3]، فأصبحت تنبكت أكبر مدينة في عصر مملكتي مالي وصنغي، ويقول عنها السعيدي "ومن أجل هذه المدينة المباركة تأتي الرقاق من جميع الآفاق إلى تنبكت شرقها وغربها"[4]

لكن إذا كان الطوارق قد فقدوا مركزهم السياسي في تادمكة لعوامل طبيعية في المقام الأول والمتمثلة في جدب المنطقة وجفافها وتراجع مركزها التجاري؛ فإنهم احتفظوا

ديبوا: تمبكت العجيبة، ترجمة د . عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، مراجعة د. شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003 ، ص171.

1) السعيدي: مصدر سابق، ص21، أحمد بلعراف التنبكتي: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء، ص45.

- Buehler,S. W.: The white monk of the Timbuktu, Harcourt, Brace and company, Second printing, New York, 1939. P.221.

2) السعيدي: مصدر سابق، ص21، إبراهيم علي طرخان: مملكة مالي الإسلامية، ص110، 111.

3) Hamy E.T.; Tombctou, Conference Faite Au Museum D'Histoire Naturelle, Cibrairie Armand Colin, Paris, 1902, p.22.

4) السعيدي: مصدر سابق، ص11، عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493–1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص101، خالدي مسعود: المرجع السابق، ص534.

بمركزهم السياسي في تنبكت خلال أغلب عهود حكام مملكة مالي، فظلوا يحكمون تلك المدينة مع اعترافهم بالتبعية السياسية لمملكة مالي التي استحوذت على إمارة جاو – مهد مملكة صُنغي– وتوابعها ومنها مدينة تنبكت. وقد حدث هذا في عهد منسا موسى أشهر حكام مملكة مالي على الإطلاق (712 – 738هـ / 1312 – 1337م)، وكان ذلك بعد عودته من رحلة الحج للديار المقدسة، ففتح سقمنجة قائد جيشه مدينة جاو عاصمة صنغي سنة (725هـ / 1325م)، ودخل أهل صنغى في طاعته، كما ذكر السعيدي في كتابه تاريخ السودان "ودخل أهل سنغى في طاعته بعد جوازه للحج"[1].

ظل الوضع السياسي لطوارق تنبكت عصر مملكة مالي على هذا الحال خلال عهود خلفاء منسا موسى الأقوياء؛ لا سيما منسا علي، ومنسا سليمان، حيث عرفت المملكة رخاءً اقتصادياً واستقراراً سياسيًا خلال تلك المرحلة وتوسعت حدودها توسعًا كبيرًا[2]. لكن بعد ذلك تولى حكم المملكة حكام ضعاف لم يكن لهم شأن كبير في تاريخ مملكة مالي، إلى أن انتزع الحكم ساكورا(684–700هـ/1285–1300م)، وهو مولي من الموالي، وقد وسع رقعة بلاده، فضم الكوكو(جاو) وبلاد التكرور إلى حكمه، واتسم عهده بالاستقرار والأمن، وازدهرت الحياة الاقتصادية. والراجح أن بعض القبائل وخاصة الطوارق والفلان كانت قد حاولت استغلال الفرصة أثناء فترة الضعف التي مرت بها مالي قبل عهد ساكورا وهاجمت بعض مدن المملكة؛ بدليل أن ساكورا بمجرد توليه الحكم دخل في حروب وصراعات مع قبائل الطوارق وقبائل الفلان[3]، واستطاع

1) السعيدي : مصدر سابق، ص 11؛ شارل اندرية جوليان : تاريخ أفريقيا، ترجمة طلعت عوض أباظة، مراجعة عبد المنعم ماجد، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1968م، ص 135.

2) المقريزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي (764 . 845 هـ/ 1364 – 1442م): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والتوجيه والنشر، القاهرة، 1955م، ص 116.

3) قبائل الفلان : يعد الفولاني أو الفلان من أقدم القبائل في بلاد السودان الغربي ، وقد اشتملت هذه القبيلة على مجموعة من القبائل الرعوية، وشكل الفولانيون جزءاً مهماً من التركيبة السكانية في ممالك غانة ومالي وصنغى، وبحكم عمل أبناء هذه القبيلة في الرعي استوطنوا جهات متفرقة في بلاد السودان الغربي إلى الشرق والغرب من نهر النيجر الأوسط خلال فترة الدراسة، انظر كعت: مصدر سابق، ص 44، السعيدي : مصدر سابق، ص 78.

توسيع رقعة بلاده، فوصلت مملكة مالي إلى قمة مجدها في تلك الفترة. وقام ساكورا برحلة للحج، وعند رجوعه وتحديدًا عند ساحل تاجوراء بالصومال باغتته قبائل الدناكل وقتلته، كان ذلك عام 700هـ/ 1300م وبذلك انتهت فترة حكمه التي استمرت خمسة عشر عاماً[1].

وقد تولى بعده حكام ضعاف لم يطل بهم الزمن، واختفت مملكة مالي من على مسرح الأحداث سنة 869هـ/ 1464م، وقامت على أنقاضها مملكة صنغى [2].

وبالإضافة للمدن سابقة الذكر، نجح الطوارق في تأسيس السلطنة المعروفة بسلطنة آير أو أهير. وإذا كنا لا نعرف تاريخ نشأتها بالتحديد فإن الإشارات المتناثرة عنها تبين أنها عاصرت مملكة مالي، ثم مملكة صُنغي. وعمومًا تعد سلطنة آير أبرز دليل على تطور الوضع السياسي للطوارق ومدى قوتهم ونفوذهم السياسي في بلاد السودان الغربي وهي من السلطنات الصغيرة التي قامت بمنطقة نهر النيجر الأوسط، وتقع سلطنة آير شمال إمارات الهوسا في إقليم أقدز، إلى الشمال الشرقي من مملكة صنغي على بعد سبعمائة وخمسين كيلو مترا من مدينة جاو، وتتاخم حدودها الشرقية مملكة برنو. وقد خضعت السلطنة لحكم الطوارق[3].

وقد شهدت هذه السلطنة صراعًا وحروبًا من أجل الوصول للسلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة، فقد استولى على السلطة حاكم يدعى يونس بن تگگ تهتريت عام 807هـ/

- Hall ,B : A History of Race in Muslim west Africa, Cambridge University Press. New York, 2011, P. 263

1) ابن خلدون : مصدر سابق، ج 6، ص 200، زمان عبيد وناس : تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط امبراطورية السونغاي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء 81 – 999 هـ / 700 – 1590م)، دار الأيام للنشر، عمان، 2015، ص 58.

2) ابن خلدون : مصدر سابق، ج 6، ص 266، ابراهيم طرخان : مملكة مالي الإسلامية، ص 74، الهادي مبروك الدالي : قبائل الهوسا دراسة وثائقية، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2009 م، ص 31، Hall,B, B : op.cit, p. 213.

3) مجهول: تاريخ سلاطين أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم49، ورقة 1– 3.

1404م، ومكث في السلطة عشرين سنة حيث أزاحه عن السلطة بالقوة ابن أخته المدعو أقسار في عام 827هـ/1423م، ومنذ ذلك الحين نشب نزاع ووقعت سلسلة من الحروب بين أبناء أخت يونس على السلطة حتى نجح أخوهم الصغير في الانفراد بالحكم عام 833هـ/1429م، ومكث في السلطة عشرين سنة، ثم تولى أخوه سنة 853هـ/1449م، ومكث في السلطة أربع سنين، ومات مقتولاً على يد أهل تسنقت، وبذلك انقرضت دولتهم بعد خمسين سنة، ومكث أهل تسنقت في الحكم نحو شهرين، ثم استولت على السلطة أسرة حاكمة من أهل تعررت، ففي عام 857هـ/1453م وصل إلى السلطة إبراهيم بن هلاز ومكث فيها تسع سنين، ثم استولى على السلطة بالقوة ابن أخته يوسف بن عائشة عام 866هـ/1461م[1].

وهكذا فبالرغم من استقلالية سلاطين أير إلا أن السلطنة عانت سياسيًا نتيجة الصراع على السلطة بين أبناء البيت الحاكم، لكن لحسن حظهم أن هذا الضعف واكب فترة ضعف مملكة مالي التي كانت تعاني هي الأخرى وانتهى نفوذها السياسي لصالح قوة أخرى وهي مملكة صُنغي.

يتضح مما سبق أن الطوارق هاجروا إلى بلاد السودان على دفعات، واستطاعوا امتلاك مصادر القوة والنفوذ نتيجة ممارستهم للتجارة وسكناهم لبعض المدن المهمة، وتأسيسهم للبعض الآخر من المدن والسلطنات[2]؛ مما مكنهم من تحقيق بعض النفوذ السياسي بخلاف العناصر السكانية الأخرى التي وفدت على بلاد السودان من قبائل

---

1) مجهول: تاريخ سلاطين أهير، ورقة 1– 3.

2) عمل كثير من الطوارق في التجارة عبر الصحراء، وعلى طول طرق القوافل الرئيسة عملوا كمسئولين عن حماية القوافل وتأمينها، وتخصصت مجموعة منهم في النقل النهري، وأخرى تعاونت مع الأنظمة المستمرة في التجارة الصحراوية، وعمل البعض الأخر من الطوارق كقطاع الطرق يمارسون النهب والسلب والإغارة على القوافل الأخرى، انظر السعيدي: مصدر سابق، ص 73.

- Keenan, J. : Tuareg take up arms, Review of African political Economy, vol. 108, North Africa, power, politics promise (Jun. 2006), p. 17.

البربر والعرب التي طمحت إلى المشاركة في مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية دون أن يكون لهم أي طموح سياسي في حكم بلاد السودان الغربي.

وكان نتيجة استقرار قبائل الطوارق وإنشاء محطات تجارية ومراكز حضرية لهم في السودان الغربي؛ نجاحهم في تكوين عدد من الأنظمة الحاكمة في مدن كثيرة بالسودان الغربي، وكان لاستقرار الطوارق في مدن السودان الغربي أثر واضح في ازدياد أعدادهم، حتي أصبحوا يمثلون قوة سياسية وعسكرية واجتماعية في المنطقة، فقد اندمجوا مع السكان الأصليين وتصاهروا معهم، مثل قبائل السونتك والماندنجو[1]، وتحالفوا معهم ضد أي هجوم خارجي. [2]

2- الوضع السياسي للطوارق في عصر مملكة صنغى:

مملكة صنغى هي إحدى ممالك السودان الغربي، والتي قامت على أنقاض مملكة مالي الإسلامية وورثت أملاكها[3]؛ من ثم كان من الطبيعي أن تواجه الطموحات السياسية للطوارق.

لاحظنا فيما تقدم كيف كانت وضعية الطوارق سياسيًا في عصر مملكة مالي، وتمثلت هذه الوضعية في تحقيق بعض النفوذ السياسي نتيجة استقرارهم ببعض المدن المهمة اقتصاديًا، سواء تلك التي كان لهم فضل تأسيسها، أم تلك التي سيطروا عليها وحكموها لبعض الوقت.

---

1) يعد الماندنجو من أهم العناصر الإثنية التي سكنت منطقة السودان الغربي، فقد نجحوا في تأسيس مملكة مالي، وقد سادت قبائل الماندنجو لسنوات طويلة في المنطقة الممتدة بين نهر النيجر والبحر المحيط الأطلسي، أي في الوديان العليا لنهر السنغال، وامتدت حتي منطقة الغابات جنوبًا. والسوننك بطن من بطون الماندنجو. البكري: المغرب ، ص177؛
- Trimingham, J.S.: A History of Islam in west Africa,Oxford,1926,p.15.

2) السعيدي: مصدر سابق، ص26، عبد الحميد الهرامة: تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987، ص228.

3) السعيدي : مصدر سابق، ص 72.

ورغم الظروف التي مر بها الطوارق والتي وقفت عائقًا أمام طموحهم بأن يصبح لهم وحدات سياسية مستقرة خاضعة لحكمهم؛ فإن هذا الحلم ظل يراودهم وعملوا على تحقيقه في عصر مملكة صُنغي التي ورثت مملكة مالي في النفوذ والسيطرة السياسية على بلاد السودان الغربي.

فقد اتجه غالبية طوارق تادمكة –نتيجة تراجع الدور التجاري لمدينتهم مع ازدهار خط التجارة الغربي بين سجلماسة وبلاد السودان الغربي– للهجرة نحو تنبكت وسكنوها مع أقرانهم من طوارق مقشرن منذ نهايات القرن السادس للهجرة، وكانت تنبكت وقتذاك مستقلة يحكمها الطوارق، وليس لأحد من الممالك السودانية أي سلطان سياسي عليها، فضلًا عن موقعها المتميز على نهر النيجر وليس في قلب الصحراء كما هو حال تادمكة[1]. لكن الأهمية الكبيرة التي حازتها مدينة تنبكت جعلتها هدفًا للممالك الإسلامية السودانية الكبرى؛ من هنا نفهم لماذا سيطرت مملكة مالي في عهد منسا موسى على جاو عاصمة مملكة صنغي الناشئة، ومن ثم فرض التبعية على كل المدن المهمة في تلك المملكة، وفي مقدمتها تنبكت التي كان يحكمها الطوارق كما سبق أن ذكرنا، ونفهم أيضًا الصراع بين الطوارق وملوك صنغي حول تنبكت، وهو ما سنوضحه بشيء من التفصيل.

تولى سني علي مقاليد الحكم في صنغي عام 869هـ/ 1464م، وكان أول اهتماماته التخلص من خصومه، واتخذ لنفسه استراتيجية معينة في تسيير دفة أمور المملكة اتسمت بالجدية والصرامة، ولذلك ناصبوه العداء[2] وشنوا عليه حرباً دعائية محاولين بذلك تشويه شخصيته القيادية.

---

1) محمد بن أحمد الإدريسي السوقي: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص30؛ بطل شعبان محمد: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص40.

2) بالرغم من أن مملكة صنغى بدأت مرحلة تاريخية جديدة، تمثلت بعصر القوة والازدهار السياسي في عهد سني علي إلا أن مؤرخي السودان الغربي وصفوه بصفات كثيرة منها الظالم الفاجر، فذكره محمود كعت: "الظالم الفاجر الملعون المسلط شي عال[السُني علي] ... الذي سارت الرفاق بقبح سيرته. أنظر: كعت: تاريخ الفتاش، ص43 ؛ كما قال عنه السعيدي : " كان ذا قوة عظيمة ومتانة جسيمة ظالماً فاسقاً متعدياً متسلطاً سفاكاً للدماء قتل من الخلق مالا يحصيه إلا

وقد وجد سني علي في الطوارق عائقًا في سبيل تحقيق طموحاته، ومن ثم بدأ يحتك بهم، وقد كان تواجد الطوارق في مملكة صنغى في تلك الفترة بارزاً وواضحاً، فنتيجة لازدياد عددهم، شكلوا جالية كبيرة تمثل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية في المنطقة، اندمجوا مع السكان الأصليين وتصاهروا معهم مثل السوننك والماندنجو، وتحالفوا معهم ضد أي غزو خارجي[1].

وكانت أول ضربة وجهها سني علي للطوارق غزوه لمدينة تنبكت التي كانت خاضعة لحكم الطوارق وحدث ذلك عام 873هـ/ 1468م، وكان الطوارق قد جعلوا من تنبكت مدينة تجارية مهمة، غلب عليها الإسلام. وقد آثر علماؤها المسلمون مغادرتها مع زعيم الطوارق (آكل) بعد غزو سني علي لها، فقد عامل سني علي فقهاء المسلمين معاملة سيئة باعتبارهم أصدقاء الطوارق الذين تحالفوا ضده، ونكل بهم بكل وسيلة ممكنة، يقول السعيدي "وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال..."[2].

عمومًا فبعد غزو تنبكت، واصل سني علي غزواته في كثير من المدن والسلطنات التي كان بعضها خاضعا لحكم الطوارق أو يسكن بها جالية كبيرة من الطوارق فوصل بفتوحاته إلى مدن جنج وأير وأراضي صنهاجة ونونو، كما أخضع توات ومل ووغد وأقدز وباغرام إلا أن المنية وافته عام 898هـ / 1493م، وقد مكث في الحكم مدة سبعاً وعشرين سنة[3].

الله ... تسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال. أنظر: السعيدي: مصدر سابق، ص64. وفي المقابل امتدحه حسن الوزان بقوله "سني علي كان رجلاً عظيماً". انظر: الوزان: مصدر سابق، ج2، ص162.

1) السعيدي : مصدر سابق ، ص 26.

2) السعيدي : مصدر سابق، ص 64.

- Mcintosh, R. J. : The peoples of the Middle Niger, the Island of Gold, Black well publishers, USA, 1998, p. 265.

3) كعت: المصدر السابق، ص 52؛ وأيضاً أنظر: أحمد بابير الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نياني، النيجر، رقم 106، ص 7.

تولى بعده الحاكم الأسكيا الحاج محمد (898 – 935 هـ / 1493 – 1529م) الذي ترجع أصوله إلى قبائل السراكولي، واستوطنت عائلته حول النيجر الأوسط ، واختلطت مع قبيلة صنغى، فملكوا كثيراً من بلاد السودان الغربي؛ ونتيجة طموحاته التوسعية الكبيرة اصطدم بالطوارق أيضًا[1]، لكن حاول تغيير أسلوب المواجهة الحربية معهم واتباع طريقة محاولة إدماجهم في المجتمع.

عمل الأسكيا محمد الأول منذ توليه الحكم وتسلمه مقاليد الأمور على تنظيم دولته بإعادة بناء الجيش من مختلف القبائل التي تكون اللحُمة من قبائل الطوارق والماندنجو والهوسا، كما أنشأ نيابة للملك في تندرم، كلف بها أخاه عمر كمزاغ، كما عمل ادارة لجباية الضرائب في مدينة جاو[2].

ورغم ذلك لم يكن هناك بد من المواجهة الحربية مع الطوارق، وكانت أبرز تلك المواجهات هو انتزاع الأسكيا محمد لسلطنة أير من أيدي الطوارق، ساعد على ذلك ما عانته تلك السلطنة من صراع على السلطة بين أبناء البيت الحاكم من الطوارق، ففي عام 866هـ/1461م استولى على السلطة بالقوة يوسف بن عائشة[3]، فمكث فيها ستة عشر عامًا إلى أن أخذها منه محمد الكبير عام 882هـ/1477م، وظل في الحكم عشر سنوات إلى أن أخذها منه أخوه إبراهيم محمد مصطفى عام 892هـ/1486م، ومكث فيها سبع سنوات إلى أن أخذها منه ابن أخته محمد بن عبد الرحمن عام 899هـ/1493م، فمكث في الحكم تسع سنين ومات مقتولاً، وتولى بعده محمد العدل

1) كعت : مصدر سابق، ص 11 – 13.

2) مدينة جاو من أقدم المدن التي وجُدت في حوض نهر النيجر التي سكنها الطوارق، تقع على طريق تجاري يربطها ببلاد الهوسا في الشرق وبلاد الطوارق في الشمال والمراكز التجارية المهمة في الجهات الغربية. انظر: الحاج موسى أحمد كامره : زهور البساتين في تاريخ السودانيين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تقديم وتحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطين للابداع الشعري، الكويت، 2010، ص 146.

[3] مجهول: تاريخ سلاطين أهير، ورقة 1– 3.

عام 908هـ/1502م، ومكث في السلطة أربعة عشر عامًا. ولهذا ظل الوصول إلى السلطة في مملكة آير سجالاً بين الإخوة، وشهدت بعض الحالات تدخل ابن أخت الملك لانتزاع السلطة بالقوة، وكان السبب في ذلك هو التنافس بين أربع قبائل كبرى استوطنت أهير، وكانت كل قبيلة تتطلع لأن يكون الملك من أبنائها[1]. وقد استغل الأسكيا محمد الأول ملك صنغي تلك الظروف وانتزع أير من حاكمها محمد العدل في عام 922هـ/1516م[2].

هكذا تميزت قبائل الطوارق بوضعهم وثقلهم السياسي في المجتمع السوداني، فقد عرفت قبائل الطوارق لدى دول السودان الغربي بالقوة، والشجاعة الفائقة، وبعزة النفس، فتسابق عدد من حكام السودان الغربي إلى كسب ودهم، فهم إلي جانب شجاعتهم وقوتهم مثلوا العمق الاقتصادي في تجارة القوافل عبر الصحراء، فكان أغلب هذه القوافل المتجهة من غدامس إلى تنبكت وباقي مناطق السودان الغربي يقودها الطوارق[3].

وبنجاح الطوارق في الاستيلاء على مراكز تجارية وسياسية مهمة كما سبق التوضيح بدأ تأثيرهم يظهر على الحياة السياسية، ونجحوا في السيطرة على القبائل المحلية، وتحكموا في النظام السياسي، مما أدي إلى زيادة قوتهم السياسية داخل مناطق السودان الغربي، وهو ما جعل حكام السودان الغربي يعيدون ترتيب حساباتهم سواء في الداخل أو الخارج، خوفاً من الخطر الذي يهددهم من جانب الطوارق [4].

---

[1] مجهول: سلطنة أهير، ورقة 1–5.

[2] مجهول: تاريخ سلاطين أهير، ورقة 1– 3.

3) جيمس ريتشارد سن: ترحال في الصحراء من 845–1846، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس 1993، ص 140.

4) أحمد بابير الأرواني: تاريخ تنبكت، مخطوطة محفوظة، مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، تحت رقم 2176، ورقة 10.

ثالثًا– الطوارق ونظم الحكم :

نظراً للثقل السياسي لقبائل الطوارق داخل السودان الغربي، بفضل حنكتهم السياسية، وبعد أفقهم، ودقتهم في التخطيط لأمور الحكم، فقد تقلد بعضهم أرفع المناصب السياسية في ممالك السودان الغربي، فقد أسند حكام السودان الغربي بعض المناصب العسكرية لرجال الطوارق ومنهم "مقشرن كي"[1]، وكان صاحب هذا اللقب يلازم الأسكيا في بعض حروبه، فقد اصطحب الأسكيا داوود مقشرن كي معه في بعض حروبه[2]. كما كان مقشرن كي حاكمًا لإقليم الصحراء الواقع شمالي مملكة صنغي، وحده الشمالي إقليم توات، ويحده من الغرب إقليم كاغ ومن الجنوب سلطنة جوبر ومن الشرق إقليم آير. وهذا الإقليم جزء من صحارى ليبيا تقريباً[3] ويقطنه قبائل التوارق الرحالة الذين يعتمدون على الرعى وتربية الماشية وخاصة الإبل، وأشهر القبائل المتواجدة فيه قبائل مقشرن، وعد من الأقاليم التابعة للمملكة إلا أنه يتمتع بحكم ذاتى، ويرتبط سلاطينه بعلاقات طيبة وعميقة وحسنة للغاية مع الأساكى، على العكس مما كانت عليه أيام أسرة سنى خاصة سنى على[4].

أما عن التنظيم السياسي الداخلي للطوارق فيمكن القول بأن مجتمع الطوارق يتميز عن باقي مجتمعات السودان الغربي بتنظيمه السياسي، فيتميز بوجود سلطة مركزية

1) مقشرن كي: رئيس المقشرن، وهم إحدي قبائل الطوارق بالقرب من النيجر: انظر كعت: مصدر سابق، ص118 ؛ كرم الصاوي باز : الفن الحربي زمن دولتي مالي وصنغي636– 1000هـ / 1238–1591م، دراسات في تاريخ المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الوسيط، الأفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ص421.

2) السعيدى: مصدر سابق، ص109؛ الناصري: مصدر سابق، ج2، ص111–112.

3) الحسن الوزان : مصدر سابق ، ص521–522.

4) السعيدى : مصدر سابق ، ص5 ؛ عبد الرحمن سيد : مخطوطة سابقة ، ص137، 144 ؛ سينيكى : مرجع سابق ، ص211.

يديرها حاكم يطلق عليها اسم "أمنوكال"[1]، ويمثل السلطة التنفيذية، ويساعده مجلس شيوخ القبائل والوجهاء، الذين كانوا بمثابة لجنة استشارية، تعينه على تسيير دفة الحكم واتخاذ القرارات، ساعد علي ذلك أن الطوارق كان لديهم ولاء لشيخ القبيلة.

وبذلك يمكن القول أن أهم المناصب في نظام الحكم في مجتمع الطوارق تألفت من منصب السلطان (الأمنوكال)، ومنصب شيخ القبيلة، ومنصب الامام، بالإضافة إلى مجلس الشيوخ والأعيان.

أما منصب السلطان (الأمنوكال)، فكان يعهد به إلى أقوى شيوخ القبائل، باعتباره يمثل أعلى سلطة في البلاد، ومن أبرز سلاطينهم في الفترة ما بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة / الخامس عشر والسادس عشر للميلاد سلطان يسمي السلطان (آكل أكملول)، الذي عد من أعظم سلاطين الطوارق، وتولى مساعدته مجموعة من رؤساء القبائل المعروفين باسم (الأتاتاك)، وتحت إمارتهم مجموعة من شيوخ القبائل تعرف باسم (الأمغار)[2].

وهذا ما رأيناه في مدينة تنبكت التي حكمها أربعين سنة (837هـ – 873هـ)، وذلك إبان فترة ضعف حكومة مالي، وكان يطلق على حكامها لقب (مقشرن كي)[3] Roi الذي يشير إلى حاكم الطوارق، ويعد لقب (كي) من الألقاب التي استخدمها سلاطين مالي وصنغي كألقاب لهم.[4]

---

1) محمد سعيد القشاط : التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء ، ليبيا ، ط 2 ، 1989 م ص 49.

2) محمد عبد الرحمن عبد اللطيف : أمراء مملكة الملثمين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2003 ، ص 46.

3) كي: مصطلح المعني الشائع له ملك أو حاكم اخاضع للسلطان، فكان يشار به إلى حاكم البلدة أو الإقليم، وقد تلقب به أحيانًا سلطان مالي وصنغي نفسه، مثل السلطان موسي الذي لقب باسم "كي مل"، كما لقب السلطان سليمان "فس سليمان كي". انظر: السعيدي: المصدر السابق،ص8، محمود كعت: مصدر سابق، ص37، إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، ص188.

4) السعيدي: مصدر سابق،ص38، عبد الحميد الهرامة: مرجع سابق، ص228.

يقوم نظام الحكم عند الطوارق علي مبدأ توريث ابن الأخت، فالحاكم كان يورث الحكم لابن اخته بزعم أن الدم الذي يجري في عروقه نقي، وصحيح نسبه[1].

وقد كان نظام توريث ابن الأخت معمولاً به في بعض دول السودان الغربي في العهد الوثني، لاسيما في مملكة غانة[2]، ولذلك نطرح سؤالاً مهماً ألا وهو: هل تأثر مجتمع الطوارق بعادات السودانيين وتقاليدهم في نظم الحكم والإدارة ؟ أم أن الطوارق هم من تركوا تأثيرهم علي مجتمع السودان الغربي، فقلدتهم بعض الأسر الحاكمة ؟ وهل تم توظيفهم في نظم الحكم في عهد دولتي مالي وصنغي؟

وعادة ما يحاط الأمنوكال بمجموعة من النواب والحكماء، والعلماء الذين يشغلون وظائف المستشارين، والقضاة والأئمة، وينفرد الأمنوكال بالأمور السياسية والعسكرية عن غيره، ويساعده في هذه المسئولية أمغار أفغامان، بمعنى القائد العسكري، يقوم بتدريب الأفراد على فنون الحرب والأسلحة المختلفة، كالسيف، والرمح والرمح ...إلخ[3].

كذلك انفرد السلطان بالتحكم في الطبل، الذي يعتبر الأداة الإعلامية، التي يتم بها إعلام القبائل بأمور السلطنة في السلم والحرب.

ويعد تنصيب الأمنوكال مناسبة مهمة في حياة الطوارق، فتُجري لها الاستعدادات اللازمة، والمسئول عن الترتيب لهذا الاحتفال هم الفقهاء والعلماء، ويتنافس على هذا المنصب عدة مرشحين هم ورثة الحكم على الخط الأمومي [4].

---

1) القشاط : مرجع سابق ، ص 49.

2) يذكر البكري أن توريث ابن الأخت هي الطريقة السائدة والمتبعة لدي مجتمع السودان الغربي، وفي ذلك يقول: " سيرتهم ومذهبهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك في أنه ابن أخته وهو يشك في ابنه ولايقطع علي صحة اتصاله به ..." للمزيد انظر البكري: المغرب، ص175. إن نظام توريث ابن الأخت، مورث قديم لدي مجتمع الطوارق والسودان الغربي، ويرجع ذلك إلي أسباب كثيرة وعميقة، تحتاج المزيد من الدراسة، انظر:

- Hodgkin, T: Islam and national movement in west Africa, conference on African history and archaeology, London, 1961, p.28.

3) Palmer H.R : The Tuareg of the Sahara. I, Journal of the Royal African Society, vol. 31, No. 123(APR – 1932). P. 39.

4) الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص 52.

وكان اختيار الأمنوكال يتم وفق معايير ومميزات أهمها أن يكون على درجة كبيرة من الحنكة السياسية، وله شعبية ومؤيدين، وأن يكون مطلعاً على الشئون السياسية للبلاد، وله قدرة على التفاوض، أيضاً لا بد أن يكون على درجة من الخُلق والشجاعة والحكمة والصبر، كما لابد أن يتوفر فيه القوة الجسمانية وسلامة البدن والحواس ونضوج العقل، كما يشترط لمن يتولى هذا المنصب أن لا يقل عمره عن الأربعين سنة[1].

تمتع الأمنوكال بصلاحيات سياسية واقتصادية وقضائية واجتماعية، فمن صلاحياته السياسية اعلان الحرب والهدنة، بموافقة ومساندة أعضاء المجلس، أما صلاحياته الاقتصادية فكان الأمنوكال هو الوحيد الذي يعطي أوامره بالسماح من عدمه بمرور القوافل التجارية الأجنبية عبر أراضي الطوارق، ومن صلاحياته الاجتماعية والقضائية حماية الفقراء، والمصالحة في المنازعات، والتصدق على الفقراء والغارمين من أبناء الطوارق[2].

ويلي الأمنوكال في سلم التنظيم الإداري منصب شيخ القبيلة، فكان يوجد شيخ على رأس كل قبيلة يتولى الإشراف على شئونها الداخلية والخارجية ويمثلها في اجتماعات السلطنة، ويحمي مصالحها، ويجمع منها حصتها من الأموال المطلوبة لخزانة السلطنة أو لتمويل الحرب، ويقود رجال قبيلته في حالة الحرب أو للغارة على إحدى القبائل المعادية، فهو المسئول عن القبيلة في حالات الحرب والسلم [3].

- Rasmussen, S.: Re – Formations of the sacred, the secular, and Modernity: Nunces of Religious Experience among the Tuareg (kel Tamajag), Ethnology, vol. 46, No. 3 (Summer, 2007). P. 11.

1) حسن مرموري : الطوارق بين السلطنة التقليدية والإستعمار الفرنسي 1900 – 1920م ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ، جامعة الجزائر، 2003م، ص 79. الشاوي اللاله البكاي أماهين : المرجع السابق، ص ص121 – 122.

2) محمد سعيد القشاط : التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 51 ؛ الدالي : قبائل الطوارق (دراسة وثائقية)، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط 1، 2006 ، ص 53 – 54.

3) الدالي: مرجع سابق، ص 53.

وتأتي في الأهمية بعد منصب السلطان وشيخ القبيلة منصب ديني مرموق وهو الإمام، الذي يمثل الجانب الروحي في القبيلة، فلابد لمن يتولى هذا المنصب أن يكون متفقهاً في الأمور الدينية، ومهمته تقديم النصح والإرشاد إلى الحكام والمشايخ، أيضاً الفصل في المهام القضائية، كما يقوم بمراقبة وتسيير أمور التعليم والإشراف على المساجد، كما كان له دور كبير في حل المنازعات والخصومات القبلية[1].

ويساعد السلطان (الأمنوكال) في مهامه **(مجلس الشيوخ)**، الذي يعد من المناصب المهمة في السلطنة، فهو يجتمع بدعوة من الأمنوكال نفسه، وذلك لمناقشة الأمور المتعلقة بالسلم والحرب، وتسيير القوافل التجارية، وتأمين الحماية لها[2]، وينعقد مجلس الشيوخ في حالتين: الأولى بدعوة من الأمنوكال، والثانية في حالة عزل الأمنوكال أو وفاته، أو أي حدث منعه من ممارسة اختصاصاته يجتمع المجلس لانتخاب من يحل محله في الداخل[3].

ويعرض في مجلس الشيوخ القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمن الناحية السياسية كان المجلس يعمل على التشاور حول مستجدات الأحداث، واتخاذ القرارات إزاء الحرب، أو قرار السلم، أو الاتفاق على المعاهدات. وهنا السؤال الذي يطرح نفسه : هل تم توظيف الطوارق في مؤسسة الحكم في عهدي مالي وصنغي؟

أما الدور الاجتماعي لمجلس الشيوخ فكان المجلس ينظر في حالات الفقراء والأرامل والمحتاجين، ويعين وكلاء عنهم لمساعدتهم فيما يحتاجون إليه.

وفي الشئون الاقتصادية اختص المجلس بمناقشة مسائل الجباية، وتحصيلها، وتوزيعها، وممارسة التجارة، وحقوق النقل، والحماية، وتحديد أراضي المراعي، وتنظيم فترات غلقها وفتحها، وهو لذلك يعتبر من المناصب المهمة في السلطنة في مناطق

1) الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، مطابع الوحدة العربية، ليبيا، 2000 م، ص 235، نعيم قداح : المرجع السابق، ص 26.

2) الدالي : المرجع السابق، ص 235 – 236.

3) محمد سعيد القشاط : الرجع السابق ، ص 54.

السودان الغربي[1]، الأمر الذي يؤكد أن المناصب التي وجدت في سلطنة الطوارق جعلت لهم ثقل ووعي سياسي في منطقة السودان الغربي، وهو ما سيتم تناوله مفصلاً في الفكرة القادمة.

رابعًا– علاقة الطوارق بالسلطة الحاكمة :

تمتع الطوارق بثقل سياسي واقتصادي في السودان الغربي ؛ نظراً لما حققوه من سيطرة في تجارة القوافل التجارية الصحراوية، وخاصة تجارة الملح، فالقبائل الصنهاجية كانت تمتلك أيضاً عدة مملحات منها تغازة[2]، استطاعت من خلالها الحفاظ والسيطرة على المدن التجارية[3]، والاستفادة من فرض الرسوم التي تتحصل عليها سواء من الداخل أو الخارج، الأمر الذي جعلها في مركز سياسي قوي، وقد ساعدها ذلك على تقوية العلاقات بينها وبين ملوك السودان الغربي، لوجود مصالح مشتركة بين الطرفين، وقد ارتبط الطوارق بعلاقات متأرجحة مع السلطة الحاكمة في السودان الغربي، فتارة تظهر في حالة عداء، وتارة أخرى تظهر في حالة تحالف.

وقد اتسمت العلاقات بين الطرفين بالتوتر في أغلب الأوقات، خاصة لسيطرة الطوارق – في كثير من الأحيان – على طرق القوافل التجارية، كذلك لاتخاذ الكثيرين من أبناء الطوارق من حمل السلاح وسيلة لكسب عيشهم، فاصطدموا بالسلطة الحاكمة التي لم تنجح في احتواء هذه القبائل، وادماجهم في المجتمع السوداني الذي انساب في نسيجه العديد من الجماعات الأخرى، هذا في الوقت الذي تطلع فيه الطوارق للسلطة

1) Palmer H.R : The Tuareg of the Sahara : Iv, Journal of the Royal African society, vol,33 , No. 132 (Jul, 1939), p. 33.

2) تغازة : بينها وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوماً، وتحفر الأرض على الملح كما تحفر على سائر المعادن، ويقطع كما تقطع الحجارة ، ومن هذا المعدن ينقل الملح إلى سجلماسة، وغانة، وسائر بلاد السودان، انظر البكري : المصدر السابق، ص 171.

3) البكري: المصدر السابق، ص 171، مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1983، ص214.

السياسية، وهو ما لم تسع إليه الجماعات العربية والبربرية الأخرى التي امتزجت بالمجتمع السوداني، وبرز دورها بشكل أكبر في النواحي الاقتصادية والثقافية فضلاً عن الدينية[1].

ومن مظاهر العلاقات العدائية بين الطوارق ومملكة مالي، استيلاء الطوارق على أروان وتنبكت وولاته عام 837هـ / 1433م، وعجزت مالي عن استرداد تلك المدن، وظلوا يحكموها أربعين سنة [2] وذلك حتي غزاها سنى علي عام 873هـ/ 1468م[3]، وقد أحدث فيها فساداً عظيماً وأحرقها وقتل فيها خلقاً كثيراً، ولما سمع آكل أكملول حاكم الطوارق من زعماء البربر بمجيئ سني علي، أحضر ألف جمل، وإزاء هذه التصرفات قرر فقهاء سنكري – ومنهم عائلة آل أقيت الصنهاجية – الرحيل إلي مدينة ولاته[4]، وكان دافع آكل أكملول لذلك أنه رأي أن شأن العلماء هو الأهم عنده، وقد ضم سني علي ولاته بعد ذلك إلى مملكته[5].

---

1) Tishken, J : The History of Prophecy in west Africa Indigenous Islamic and Christian, History compass, vol.5, No.5 , 2007, p.1468.

2) ابراهيم طرخان : مملكة مالي الإسلامية ، ص 111، كعت : مصدر سابق، ص 48.

3) كعت : مصدر سابق، ص 44 ، السعيدي : مصدر سابق ، ص 64 .

- Kaba, L. : The pen, the sword, and the crown: Islam and revolution in Songhay Reconsidered 1464 – 1493, the Journal of African History, vol.25, No.3,(1984), p. 269.

4) قد شاهدت عائلة آل أقيت ما تعرض له أقاربهم من آل أندغمحمد من ظلم من جانب الحاكم سني علي عندما رجعوا إلي مدينة تنبكت، فقد أهانهم وقتل كثير من هذه العائلة، وأتي بثلاثة من بناتهم الأبكار ليتخذهن جواري ، وذلك لاتهامهم بتعاملهم مع الطوارق، انظر: السعيدي: مصدر سابق، ص65؛ سوزي أباظة: عائلة أقيت واسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 26، القاهرة، 2004 م ، ص170.

5) كعت : مصدر سابق، ص 49، عبد الرحمن السعيدي : موجز تاريخ امبراطورية السنغى، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم 62.

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات بين سني علي والطوارق لم تكن في بدايتها علاقات عدائية، فقد حرص حاكم تنبكت(محمد نض) (837 – 869هـ / 1433–1465م) – المعين من قبل السلطان (آكل) سلطان الطوارق – على إرسال رسالة تهنئة وسلام إلى سُني علي عند توليه السلطة في صنغى، وطلب منه أن يعتبره من جملة عياله[1]، وقد شاركه في حروبه وغزواته الأولى التي خاضها ضد الموشى.

ولما توفى الحاكم محمد نض عام 869هـ/1465م خلفه ابنه (عمر) من قبل زعيم الطوارق، بيد أن ابنه هذا لم يسر على نفس خُطى والده في اتباع سياسة اللين مع الحاكم سني علي، فقد أعجب بنفسه وقوته ظناً منه أن سني علي لن يقدر على غزو تنبكت، الأمر الذي أتاح لسُني علي الفرصة لشن هجوم علي حاكم الطوارق في مدينة تنبكت عام 873هـ/1468م[2] وعندما فطن أكل أكملول زعيم الطوارق لتوتر العلاقة بينهما، فقام بخلع عمر من حكم تنبكت، وسلم إدارتها لبعض رجاله[3]، الذين ما لبثوا أن أنزلوا أشد العذاب بأهلها، فأخرجوهم من ديارهم، ونهبوا أموالهم، وهتكوا أعراضهم[4]، الأمر الذي أجبر عمر بن محمد نض على الاستنجاد بسني علي ليمكن له من تنبكت، فاستجاب له وقبل أن يدخل بجيشه إلى مدينة تنبكت، وفر زعيم الطوارق أكل أكملول من مدينة تنبكت برجاله وبعض العلماء إلى مدينة ولاته، وفر معه أيضاً عمر بن

---

1) السعيدي : مصدر سابق، ص 66؛ أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق، ص 70.

2) إن الأفعال البشعة والجرائم التي قام بها الحاكم سُني علي ضد مدينة تنبكت وأهلها، وخاصة العلماء واالطوارق، لا يمكن إعطائها الذرائع والمبررات، وعلي الرغم من ذلك نجد بعض الدراسات تحاول إظهاره بشكل مغاير، للمزيد انظر: العتيق بن سعد الدين السوقي الجلالي: تاريخ الطوارق والسنغي،، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نياني، رقم 384، ص10؛ سينيكي مودي سيسوكو: الصنغي من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر الميلادي، تارخ أفريقيا العام، ج 4، لبنان، اليونسكو، 1996م، ص204

3) ابراهيم طرخان : دراسات في تاريخ أفريقية الإسلامية قبل عهد الاستعمار امبراطورية صنغى الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، السعودية، المجلد الثامن، 1981م، ص 211.
- Okafar, A: History of west Africa (in the west Africa), London, 1953. P.77.

4) السعيدي : مصدر سابق، ص 66 ؛ أسماء أحمد الأحمر : مرجع سابق ، ص 127.

محمد نض، وذلك خوفاً من معاقبة سني علي له على سوء تصرفه معه بعد وفاة والده[1].

أما عن تحالف علماء تنبكت مع الطوارق فقد بدأ عندما أرسل حاكم الطوارق آكل أكملول لعلماء الطوارق الصنهاجيين يدعوهم للقدوم لمدينة تنبكت؛ ليتولوا أمور الدين والوعظ والإرشاد دون العلماء السودانيين، وهو ما يؤكد على وجود علاقة حميمة بين حاكم الطوارق وعلماء مدينة تنبكت الصنهاجيين، الأمر الذي جعل سني علي يقضي على الطوارق وعلمائها، واضطرهم للهروب من مدينة تنبكت، لكن الحاكم سني علي تتبعهم، وقتل خلق كثيرين منهم، وقام بالتنكيل ببعضهم وإذلالهم[2].

يوضح هذا الأمر أن الطوارق كانت لهم نوايا في تأسيس إمارات داخل بلاد السودان الغربي، فقد رغب آكل أكملول في أن تصبح مدينة تنبكت نواة لمملكة طوارقية، واستقدم إليها علماء صنهاجة الموالين للطوارق ليعملوا علي تدعيم مركزه السياسي والديني، لكن صدام آكل مع سني علي عجل بنهاية هذا الطموح، وتراجع سلطان الطوارق نحو مدينة ولاته.

هذا بجانب الدافع الاقتصادي، فخلال الفترة التي قضاها الطوارق في مدينة تنبكت قبل قدوم سني علي، وهي أربعين سنة كانت كفيلة بازدهار المدينة اقتصادياً، لاسيما مع تطور دور تنبكت في التجارة عبر الصحراء، فأصبحت واحدة من أهم محطات هذه التجارة، ولذلك يمكن القول أنه لولا الدور الذي لعبه الطوارق في الإشراف علي الحركة التجارية عبر الصحراء ما ازدهرت تنبكت ، وهو الأمر الذي حمل سني علي على

---

[1] محمود كعت: مصدر سابق، ص 49. عبد الله موسى برزي: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا فيما بين القرنين 8 – 10هـ / 14 – 16م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوى الإسلامية، ليبيا، طرابلس، 2000م، ص 54.

2) أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي، ت 1036هـ/1627م) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج 1 ، تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 ، ص 137، سوزي أباظة : عائلة أقيت، ص 169.

ضرورة التخلص من الطوارق، وطردهم بعيداً عن تنبكت، والاستئثار بمميزاتها الاقتصادية التي كانت مهمة جداً لتطور مملكة صنغي.

أما عن تحالف الطوارق والعلماء والذي أقلق السلطة الحاكمة ممثلة في شخص سني علي فكان سببه ظاهرًا، فقد احتاج الطوارق إلى من يقوم بحمل مهام الجهاز الإداري في المدينة، فلم يكن بوسعهم القيام بالمهام الإدارية والقضائية والتعليم وغيرها ...، وفي المقابل احتاج شعب تنبكت وعلماؤها قوة تحميهم، فقد قيل عنهم "وهي التي قيل عن أهلها أنهم لا يعرفون من هموم الدنيا سوي تحصيل العلم والمعرفة. وفي ذلك يقول السعيدي: " تري رجلاً كبيراً بلحيته إذا أراد أن يركب الإبل يبقي يرتعد خوفاً منه، ... ولا يعرفون شيئاً من أمور الدنيا لعدم لعبهم في حال صغرهم" [1].

يوضح النص السابق مدي ارتباط العلماء والفقهاء بالطوارق، وشعوراً بهذه المصالح المشتركة، وفي غياب السلطة الشرعية، ربما كان في صالح مدينة تنبكت – المكونة في أغلبها من صنهاجة وبالأخص من مسوفة – أن تجد في العنصر الطارقي من يرعي أمنها ويشرف علي شئونها، خصوصاً بعد أن أصبحت عُرضة لعمليات السطو والنهب من قبل حكام مملكة الموشي.

من ناحية أخري، يظهر أن الصراع لم يكن من جانب واحد، لمقت العلماء أنفسهم سني علي وتفضيلهم لحكم الطوارق عن تسليم مدينتهم له. بيد أن هذا الحكم لا يقودنا إلي نزع صفة انتماء العلماء وحبهم لمدينة تنبكت[2]، إذ أن سياسة المسالمة والمهادنة التي نهجها فقهاء المدينة تجاه الحكم الطوارقي يجد تفسيره كون أن العلماء بالإضافة إلي العلاقة الروحية التي كانت تشدهم إلي مدينتهم تنبكت، فهم رجال قلم وبضاعة،

---

[1]) السعيدي: مصدر سابق، ص67.

[2]) جون هنويك: العلاقات الفكرية بين المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء عبر العصور، ترجمة عن الأصل الفرنسي، أحمد الشكري– يحيي أبو الفراح، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، 2015م، ص23.

- Cissoko, S.M, L`Humanism sur les bords du Niger au XVIe siècle, In presence Africaine, 1964, p84.

وليسوا رجال سياسة وسيف، وبما أن النشاط الثقافي والتجاري مرتبط بعوامل الاستقرار والنظام، فلا غرابة أن يثور الفقهاء ضد النظام المتشدد، الذي أضر بالحرية التي أعتاد عليها هؤلاء في ظل النظام الطوارقي المطلق.

أيضاً ظهرت حالات العداء بين الأساكي والطوارق في كثير من الأمور السياسية والاقتصادية نظراً لإحساس الطوارق بأنهم الأقوى، وتطلعهم المستمر إلى تكوين دويلات في مضارب ديارهم، وذلك من أجل السيطرة على الممالك السودانية، وفرض الهيمنة الاقتصادية، بالسيطرة على التجارة الصحراوية، الأمر الذي يؤكد على أن الخطر كان يدق أبواب مملكة صنغى في عهد الأساكي، فعمل الأسكيا محمد الكبير (898 – 935هـ / 1493 – 1529م) على محاربة الطوارق في إقليم أير الذي توطن فيه الكثير من الطوارق، وذلك عام 906هـ / 1500م، فدارت بينهما معركة كبيرة؛ أدت إلى هزيمة الطوارق شر هزيمة، نظراً لقوة وتماسك الجيش الصنغي [1].

وقد انقلب العداء إلى تحالف ووفاق عندما شعر الأساكي بالخطر الذي يهددهم من قبل القبائل الأخرى، ففضلوا التحالف مع قبائل الطوارق؛ لتحقيق عدة أهداف منها تأمين طرق القوافل التجارية، فقد وقع أيام السلطان الأسكيا داوود (956 – 990 هـ / 1549 – 1582م) اتفاق بين مملكة صنغى والطوارق الذين يسكنون مشارف الصحراء وشمال مدينة تنبكت، ولم يحدث ذلك من قبل في عهد الأساكي، لأن قبائل الطوارق ظلت تعيش طيلة العهود السابقة متنقلة لرعي ماشيتها، وتمارس الغارات المفاجئة على المدن المجاورة [2].

ومن جانب آخر رأت قبائل الطوارق أن من مصلحتها أن تعقد صُلحًا مع حكام مملكة صنغى، عندما بدأت قبائل بني حسان في عام 978 هـ / 1570م تسكن منطقة

1) محمود كعت: مصدر سابق، ص 70، السعيدي : مصدر سابق، ص 74، أسماء أحمد الأحمر: الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية(869 – 1000 هـ / 1464 – 1591م) ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ليبيا ، 2008، ص 92.

2) السعيدي : مصدر سابق ، ص 109، عبد القادر زبادية : مرجع سابق، ص60.

الحوض[1]، مهددة الطوارق فتحالفوا ضدهم مع حكام صنغى، الذين من ناحيتهم عملوا على تجنب كل ما من شأنه أن يثير بينهم وبين الطوارق عوامل العداء، بالرغم من استمرار الطوارق في الإخلال بالأمن، وذلك حتي يجدوا فرصة للتفرغ لتأديب القبائل الأخري التي هاجمت ممتلكاتها بشراسة مثل قبائل الموشي [2].

هكذا كانت المصالح المشتركة تفرض على الطرفين أن يعقدوا صُلحًا وتحالفًا من أجل أن يتجنبوا الصدام، وهذا ما ظهر عندما طالب الأسكيا داوود مشاركة الطوارق في بعض حملاته وفتوحاته العسكرية، فقد شارك اثنان من حكام طوارق إمقشرن معه، وكان تعداد جيش كلاً واحد منهما اثني عشر ألف جندي من محاربين الطوارق، الأمر الذي يوضح أن الطوارق كان لهم نفوذاً قوياً داخل دول السودان الغربي، وخبرة كبيرة في الحملات الحربية، نظراً لقيامهم المستمر بعمليات الإغارة المفاجئة على القبائل المجاورة، مما جعل السلطة الحاكمة في صنغي تسعي لدمج هذه القبائل ضمن قبائل المملكة للاستفادة منها في الحروب، لخبرتها العسكرية، ولشهرة المحاربين الطوارق أنهم أقوياء وأشداء في المعارك [3]. وبذلك التحالف أصبحت قبائل الطوارق من أكثر القبائل التي عملت على تأمين الطرق والقوافل التجارية بالسودان الغربي [4].

هكذا تأرجحت العلاقة بين الطوارق والسلطة الحاكمة بين العداء والمهادنة، فاتسمت بالعداوة في بداية حكم مملكتي مالي وصنغى، وخاصة في عهد الحاكم "سني علي" ، وسرعان ما انتهت بالتحالف مع حكام السودان الغربي، وذلك من أجل السيطرة على الدول والقبائل الأخري التي تخرج علي حكامها.

---

1) منطقة الحوض تقع حالياً في الجنوب الموريتاني من مملكة موريتانيا.

2) العتيق بن سعد الدين السوقي : تاريخ الطوارق والسنغى، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نياني، رقم 384، ورقة 13.

3) السعيدي : مصدر سابق، ص 73، عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص 48.

4) محمد المفتي مرحبا : فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان، مخطوطة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، تحت رقم 108، ورقة 21 – ب، أيضاً : السعيدي : المصدر السابق، ص 109.

خامسًا– الدور الحربي للطوارق في مجتمع السودان الغربي :

بسبب تطلعات الطوارق للسيطرة على مدن السودان الغربي قام الطوارق بحملات حربية عديدة في منطقة السودان الغربي، وقد وردت الإشارة إليها في بعض المصادر السودانية، حيث أغاروا على الممالك السودانية للسيطرة على مدنها ، كما أغاروا على طرق القوافل التجارية والصحراوية للسيطرة على بضائعهم وسلب أموالهم.

لقد لعبت الحرب دوراً بارزاً في الفكر السياسي للطوارق في مجتمع السودان الغربي، فمنذ ترسيخ وجودهم في هذا المجتمع اتخذوا من الحرب سبيلاً للوصول إلي السلطة أو تأمين معاشهم من فرض الإتاوات علي القوافل التجارية، لذلك أحدثت الحرب تغييرات واضحة علي الطوارق في مجتمع السودان الغربي [1].

لقد خاض الطوارق صراعات دموية مع عدد من حكام ممالك السودان الغربي الذين أرادوا تأديبهم، ففي عهد مملكة مالي الإسلامية، حاولوا الانفصال عن المملكة لشعورهم بالقوة، والقدرة على تكوين مملكة في مضارب ديارهم، وذلك عندما وجدوا الضعف والاضمحلال يدب في جسم مملكة مالي نتيجة الصراعات السياسية والاقتصادية، فقد تزايد الصراع على السلطة بين حكام مملكة مالي خاصة بعد وفاة السلطان منسا موسى (712 – 737 هـ / 1312 – 1337م)، فظهرت عوامل الضعف والانحطاط في مملكة مالي مع نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، فقد أنهكت الحكومة المركزية نتيجة للصراعات بين حكام المملكة، وهو الأمر الذي جعل الولايات التابعة لها تعلن استقلالها عنها، وتقدم الولاء والطاعة لجماعات الطوارق، التي أصبح لها نفوذ وكيان سياسي داخل المملكة [2]. الأمر الذي جعل الأقاليم الشمالية الغربية للسودان الغربي تشهد اجتياحًا كبيرًا لقبائل الطوارق الملثمين، الذين شيدوا لأنفسهم مملكة موحدة وقوية علي حساب ممتلكات مالي في منطقة السودان، وقد تضررت مالي منذ العقود الأولي من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي من هجوم الطوارق علي أطرافها.

---

[1]) محمد سعيد القشاط : المرجع السابق، ص 49 ، الشاوي أماهين : المرجع السابق، ص 121.

[2]) Cissoko, M. : Tombouctou et L'empire songhay, Dakar, 1975, p.52.

وقد نجح الطوارق في الاستيلاء على مدن أروان وتنبكت وولاته عام 837هـ / 1433م التابعة لمملكة مالي، تلك المدن التي تمتعت بمواقع تجارية مهمة على طرق القوافل العابرة للصحراء، خاصة مدينة تنبكت التي أصبح سكانها فريسة للابتزاز من قبل جماعات الطوارق، والذين عاثوا في المدينة فساداً.[1] وقد فشل محاولات حكام مالي لاستردادها، وقد استمر حكم الطوارق لها أربعين سنة حتى طردهم منها سلطان صنغى سني علي في عام 873 هـ / 1468م؛ فتحولوا إلى المناطق الشمالية من مملكة مالي، ونتيجة لغزو الطوارق لمحطات الصحراء المهمة أروان وولاته وتنبكت، بسطت سيطرتها على الطرق التجارية والصحراوية بين بلاد المغرب وأقاليم السودان الغربي. [2]

هكذا أخذت قبائل الطوارق تغير على الأقاليم الشمالية الشرقية، وتمكنت من السيطرة على تادمكة، ولم يستطع منسا موسي الثاني (775 – 788هـ/ 1374–1387م) اخراجهم منها، واكتفي بعقد هدنة معهم، غير أن هذا الاتفاق أظهر ضعف المملكة، مما أغري الطوارق بالاستمرار في هجومهم، فتعددت اغاراتهم، واتسمت بالحدة البالغة مع مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[3]، حتي أصبحت منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر خارجة كليًا عن سلطة مالي، وهو نفس الوقت الذي كانت فيه قبائل الموشي تغير على الأقاليم الجنوبية من المملكة، وقد سبق أن هاجمت قبائل الموشي الوثنية مملكة مالي، فقد هاجمت تنبكت في عهد منسا ولي الذي حكم في الفترة (732–736هـ).[4]

---

[1] الوزان : مصدر سابق، ص 539؛ محمود كعت : مصدر سابق، ص 44، السعيدي : مصدر سابق، ص 65.

[2] ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص369، إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، ص107، أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص185.

[3] ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص48، السعيدي: مصدر سابق، ص22، أحمد الشكري: مرجع سباق، ص197.

[4] السعيدي: المصدر السابق، ص23 .

هكذا كانت الحروب في مملكة مالي من العوامل التي أدت إلى سقوطها وتراجع دورها كقوة سياسية وعسكرية كبري في منطقة السودان الغربي، فبدأ الضعف يدب في جسم المملكة مع مستهل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وأمام هجمات الطوارق والموشي بموازة مع توسعات الصنغيين، اضطرت مالي للانكماش والتقوقع على نفسها في المنطقة التي كانت بداية نشأتها، وبذلك تركت المجال لملوك صنغي للتوسع في بلاد السودان، وإقامة مملكتهم على أنقاض مالي خلال الربع الأخير من نفس القرن.[1]

وكان ذلك ايذانًا بعلو مجد مملكة صنغى، وخاصة في عهد (سُني علي)، الذي اعتلى عرش صنغى عام 869هـ / 1464م، قاد عدة حملات حربية استهدفت توسيع حدود دولته، فدار صراع دموي بينه وبين الطوارق من أجل انتزاع مدينة تنبكت من أيدي الطوارق، وبالفعل نجح سني علي في إخضاعها عام 873هـ / 1468م، وانتزعها من حكامها الطوارق، وكان سلطانها حينذاك (آكل أكملول) سلطان الطوارق[2].

تعددت حروب الطوارق في عهد السلطان الأسكيا محمد الكبير (898 – 935هـ / 1493 – 1529م) أثناء فتوحاته العسكرية واستيلائه على بعض المناطق الموجودة في السودان الغربي ، ففي بداية الأمر تمكنت مملكة صنغى من حرمان الطوارق من مورد اقتصادي مهم، والمتمثل في مدينة تنبكت باعتبارها مركزاً لتجارة القوافل، ثم بعد ذلك سيطرت صنغى على الأراضي الخصبة لبلاد الهوسا، لذلك بدأ الطوارق بالإغارة على

---

[1]) السعيدي: مصدر سابق، ص43.

- Evtzion, N: The early states of the western Sudan,vol.1: The history of west Africa, In J.F. ,Ade Ajayi and Michael Crowder (Editors), Longman INC, New York,1985,p.139.

[2]) السعيدي: مصدر سابق، ص 65؛ كرم الصاوي باز: الصراع بين العرش والعلماء في سنغاي 869-899هـ/1464- 1493م ، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد22، القاهرة 2000، ص 302.

- Levtzion, N. : Islam in west Africa, Religion, Society, And politics, to 1800, Ashgate publishing Limited, Great Britain 1999, P.87.

الفلاحين في هذه المناطق[1]، مما أدى في نهاية الأمر إلى وقوع القتال بين الطرفين، وواجه جيش صنغى مقاومة كبيرة نتيجة لاستخدام الطوارق لعملية الكر والفر، ولمعرفتهم التامة بالدروب والمسالك الصحراوية، فعملوا على استدراج قوات صنغى التي كانت تطاردهم لتهلك في النهاية من الجوع والعطش؛ نتيجة لهذا الأمر قام الأسكيا محمد الكبير بغزو إقليم الأير[2] الذي سكنه الطوارق وأغاديس، وهاجم الطوارق في عام 906 هـ / 1500م، ودارت بينهما معارك طاحنة، وهزم الجيش الصنغي الطوارق، وكان حاكمها في ذلك الوقت هو الحاكم تلظ، الذي فرض عليه السلطان الأسكيا محمد جباية سنوية تدفع لخزينة مملكة صنغى[3]. وبذلك نجح في هزيمتهم في عقر دارهم.

---

[1] بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، 1988م، ص371، كرم كمال الدين الصاوي باز: تجارة الذهب والتغييرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان وبلاد المغرب في الفترة (ق 3–5هـ/ 9–11م)، ندوة التواصل العربي الإفريقي عبر الصحراء الكبري، جامعة القاهرة، 2003م، ص23.

[2] إقليم الأير : الأير معناها باللغة العربية الفصحى (الحجر الصلد)، أسس الطوارق حكومتهم بها في شمال إمارات الهوسا في إقليم أقدز، وتقع على بعد سبعمائة وخمسين كيلو متراً إلى الشرق من مدينة جاو، وكان من أبرز ملوكها يوسف بن عائشة الذي وصل إلى السلطة عام 866 هـ / 1461م ، وقد شهدت المنطقة قيام العديد من الممالك بها، أهمها مملكة تكدا، التي ورد ذكرها عند ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ومع بداية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي شهدت الأير صعود أسرة حاكمة جديدة، اتخذت عواصم لها على التوالي أسودي، تلظ، تنشمان، ثم أخيرًا أغاديس حوالي 919هـ/1513م، انظر : مجهول : تاريخ سلاطين أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية ، جامعة نيامي ، النيجر ، تحت رقم 49 ، ورقة 2 ، محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى، ص23.

- Urvoy, Y: Histoire des populations du Soudan central (Colonie du Niger), Paris, 1936, pp.158,236.

[3] السعيدي : مصدر سابق، ص 74 – 75 ، محي الدين صابر، العرب وإفريقيا: العلاقات الثقافية، بيروت، المكتبة العصرية، 1987م، ص18.

كما قاد الأسكيا محمد في عام 921هـ/ 1515م حملة جديدة ضد الطوارق؛ فقد قام بغز إقليم أير في مدينة أكدز، وقد ذكر السعيدي ذلك "وفي الثانية والعشرين، وفي رجوعه خالف عليه كت صاحب ليك الملقب بكنت".[1]

ولكن بعد تحول العلاقات بين الطوارق وحكام صنغي من العداء إلى التحالف، عمل الطوارق مع جيش صنغي لصد الغارات عن المملكة، ففي عام 952هـ / 1545م أوكل الأسكيا إسحاق الأول إلي ألفي طارقي من قبائل الطوارق مهمة تنفيذ حملة ضد منطقة درعة، كرد فعل سريع وعنيف علي طلب سلطان المغرب أحمد الأعرج بالتنازل له علي ممالح تغازة، فأمرهم بنهب المنطقة " بلا اخراج روح أحد "، وانتهت الحملة بنهب سوق بني أصبح في بلاد درعة، والعودة إلي السودان محملين بالغنائم[2] .

أيضاً دار صراع دموي في عام 955 هـ / 1548م بين قبائل الطوارق وقبائل الهوسا، فعندما تقلد السلطان حمد بن المبارك بن الحكم العدل أمور السلطة بعد السلطان يوسف بن الحاج أحمد بن الحاج ايتا وقع أثناء حكمه الذي استمر ثمانية سنوات اضطرابات وقلائل؛ ترتب عليها أيلولة أمر السلطنة إلى ابن خاله حمد بن الحكم العدل، وترتب على هذه القلاقل صراعات بين جيش الطوارق وجيش كبا، وألتقى الجيشان في طنشانا[3]، حيث دام الصراع ما يزيد على ثلاثة أشهر انتصر فيها

---

[1] مجهول: تاريخ سلاطين أهير، ورقة 4، السعيدي : المصدر السابق، ص78، زوليخة بن رمضان: المجتمع والدين والسلطة في افريقيا الغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2015م، ص 424.

[2]) درعة مدينة خصبة في جنوب المغرب الأقصي، وتقع شرقي إقليم السوس، ويخترقها نهر يعرف بوادي درعة، ويوفر جبل درعة وجبل درن الحصانة للمدينة، والمدينة عامرة بها أسواق جامعة، انظر البكري: المغرب، ص350.

[3] Dividson, B: History of west Africa. P.52. Nyang, Sula Yman. S: Islam and politics in west Africa, A Journal of Opinion African Studies, vol. 13, 1984, p. 62.

– الهادي مبروك الدالي: قبائل الهوسا، دراسة وثائقية، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2009م، ص 40.

الطوارق، وبذلك دخل السلطان يوسف إلى مدينة أقدز[1]، وسافر السلطان حمد بن المبارك إلى كشن وكنو، إلا أن الصراع بين الطوارق وكبا تكرر من جديد، وألتقى الجيشان مرة أخرى في بلدة كزوا [2]، وانتهى الصراع للمرة الثانية بانتصار قبائل الطوارق على خصمهم[3].

وتسجل سنتا (964–965هـ/ 1556– 1557م) مرحلة من مراحل الصراع بين زعماء الطوارق والأسكيا داوود(956–990هـ/1549–1582م)، فالسعيديين استغلوا الخلاف بين الطرفين حول إدارة ممالح تغازة، فأرسلوا حملة ضدها سنة 963هـ/ 1556م، أسفرت عن مقتل حاكم الأساكي المكلف بإدارة الممالح في تغازة ومحصل الضرائب المدعو إيكوسا على يد رجل من تافيلالت يدعي الزبيدي، وبأمر من السلطان السعيدي مولاي أحمد الكبير قتل عدد كبير من رجال الطوارق المكلفين بحماية المكان، والذين كانوا مكلفين بحمل الملح على جمالهم باتجاه الجنوب، وهرب الباقون، الأمر الذي دفع الأسكيا داوود إلي الاستماع لنصيحة المحاربين من الطوارق بتحويل مكان التنقيب إلى الجنوب، فإصدار أوامره بفتح مناجم تغازة الغزلان. [4] وقد شارك اثنان من سلاطين طوارق أمقشرن في هذه الغزوة بأربعة وعشرين ألف مقاتل، فقدم كل واحد منهما اثنا عشر ألفًا، وكانت هذه عادة سلاطين الطوارق إذا ناداهم الأسكيا للغزو والحرب، فلابد أن يأتي كل واحد منهم بالعدد المذكور من رجال جيش الطوارق. [5]

---

[1] مجهول: تاريخ أكدز والطوارق، مخطوطة بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، ينامي، النيجر، رقم 120، ورقة 12.

[2] الدالي : مرجع سابق، ص 41

- Smith. M.G: Kebbi and Hausa stratification, The British Journal of Sociology, vol.12, No.1 (Mar 1961), p. 55.

[3] مجهول : خبر السوق، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم 1036، ورقة 55.

[4] السعيدي : مصدر سابق، ص113، عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص47.

[5] السعيدي : مصدر سابق، ص73، كعت : مصدر سابق، ص97.

كما خاض الطوارق حروب كثيرة مع حكام صنغي في آخر فترات حكمهم، وذلك خلال ثورة بلمع صادق 996هـ/1588م، التي اندلعت خلال فترة حكم الأسكيا محمد باني، والتي أظهرت قبائل طوارق مقشرن مرة أخري علي مسرح الأحداث، والظاهر أن الطوارق لم يكونوا علي وحدة من أمرهم، فقد انقسموا بين مؤيد ومعارض لهذه الثورة، فانضم إلي جانب الأسكيا إسحاق الثاني فيالق من الطوارق، بينما أيد مقشرن كي المسمي تبرت ثورة بلمع صادق.[1]

ومنها حروبهم مع السلطان الأسكيا اسحاق الثاني (996 – 999 هـ/ 1588 – 1591م) عندما قاد حملة ضد الطوارق على مدينة كل السوق عام 997 هـ/ 1589م فخربها، فأرتحل أهل هذه المدينة على أطراف الصحراء وصاروا من أهل البادية، أي عملوا بالرعي الذي أصبح من الحرف الرئيسة لقبائل الطوارق [2].

وبتحليل الأحداث التاريخية لهذه الفترة الزمنية نخلص أنه كان من مصلحة الأساكي كسب صداقة قبائل الطوارق الرحل، الذين كان يصعب ردعهم؛ بسبب تحركاتهم الكثيرة وخبراتهم العسكرية الطويلة، مما جعلهم يلعبون دورًا مهمًا في تلك الحروب، وتركوا آثار عظيمة في هذا الشأن، فقبائل الطوارق تعد من أشهر قبائل البربر التي استوطنت السودان الغربي[3]، والتي اتبعت أسلوب الإغارة من حين لآخر على مدن تلك المنطقة، بسبب كونهم "ظواعن في الصحراء، رحالة لا يستقر بهم مقام، وليس لهم مدينة يأوون إليها ... ودخلوا بلاد التكرور بالقوة والقهر" [4]، الأمر الذي جعل حكام السودان الغربي يشركون الطوارق في حروبهم وغزواتهم، لخبرتهم الحربية والعسكرية الكبيرة.

---

[1]) السعيدي : مصدر سابق، ص125.

[2]) مجهول : خبر السوق، ص10 ؛ كعت: مصدر سابق، ص152.

[3]) عمل كثير من الطوارق في التجارة عبر الصحراء، وعلى طول طرق القوافل التجارية الرئيسية عملوا كمسئولين عن حماية القوافل، وتأمين مقابل استخراج الضرائب لهم. انظر: السعيدي: مصدر سابق، ص107.

- Van D., K.: Mapping Songhay space in tenth to sixteenth century west Africa, Anthropology and Aestheties, No.98 (Autumn, 2005),p.33.

[4]) أحمد بابير الأرواني: تاريخ تنبكت،، مخطوطة محفوظة، مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، تحت رقم 2176، ورقة 10، عبد الرحمن جيلاني: هؤلاء التوارك الملثمين، مجلة الأصالة،

هكذا خاض الطوارق حروبًا عديدة من أجل الصراع على السلطة في السودان الغربي، حيث سيطروا على بعض المدن والأقاليم المهمة التي اشتهرت بمعادن النحاس في تكدة، كما سيطروا علي طرق التجارة عبر الصحراء.

- **خاتمة:**

لقد تم التوصل إلى عدد من النتائج الهامة نستعرضها فيما يلي:

- كشفت الدراسة عن استقرار الطوارق في مدن السودان الغربي، ولعبوا دوراً كبيراً في قيام ممالك السودان الغربي وأيضاً انتشار الإسلام في هذه الممالك .
- أوضحت الدراسة الدور المهم الذي لعبه الطوارق في قيام مملكتي مالي وصنغي، حيث كانت لهم نوايا في تأسيس إمارات داخل بلاد السودان الغربي، فكانوا يستغلون ضعف هاتين المملكتين في إقامة هذه الإمارات والتي أصبحت مراكز تجارية وثقافية مهمة فيما بعد، الأمر الذي جعل حكام السودان الغربي يتداركون مدي أهميتها، لتصبح تبعيتها لهم.
- أثبتت الدراسة دخول الطوارق في صراع مع مملكة مالي للحصول على مكتسبات سياسية إلا إنهم فشلوا إبان فترة قوتها وازدهارها.
- بينت الدراسة استغلال الطوارق ضعف مملكة مالي للاستيلاء على بعض المدن مثل أروان وتنبكت وولاته.
- كشفت الدراسة عن الأثر الواضح الذي تركه طوارق مقشرن على مملكة مالي، مما كان له دور في تطورها وازدهارها، وخاصة تأسيسهم لمدينة تنبكت، التي أنشأوها في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وتحولت إلى مركز تجاري وعلمي مهم.

تصدرها وزارة التعليم الأصل والشئون الدينية، الجزائر، السنة الثامنة، ع72، رمضان 1399هـ/ أغسطس 1979م، ص19، 20.

- كشفت الدراسة عن تشكيل الطوارق جالية كبيرة في مملكة صنغي، وقد مثلت قوة سياسية وعسكرية واقتصادية في المنطقة، اندمجوا مع السكان الأصليين وتصاهروا معهم ، وتحالفوا معهم ضد أي غزو خارجي.
- كشفت الدراسة عن دوافع الصراع بين سني علي والطوارق، الذين مثلوا عائقًا كبيرًا أمام أطماعه التوسعية، وعندما رأي سني علي الخطر يهدده من قبل الطوارق باستيلائهم علي مدن السودان الغربي قام بضم المدن والقرى التي سيطروا عليها إلى مملكته، فضم جنى، ووصل بفتوحاته إلى مدن جنج وأير وأراضي صنهاجة ونونو، ودخل مدينة تنبكت، كما اخضع توات ومل ووغد وأقدز وباغرام، وبذلك وجه ضربة قاصمة للطوارق.
- أوضحت الدراسة كيف استطاع الأسكيا محمد الكبير توجيه ضربة قاصمة للطوارق بغزوهم في عقر دارهم في إير، وتوجيه هزيمة ساحقة لهم.
- بينت الدراسة توطد العلاقات بين الطوارق وملوك صنغي في أواخر عهد الأسكيا، ودخلوهم ضمن عناصر جيش صنغي.
- أثبتت الدراسة وجود تحالف عسكري بين الطوارق وملوك صنغي في فترة ضعفهم لمواجهة القبائل العربية وهجمات السعيديين، ولتأمين قوافلهم التجارية.
- أثبتت الدراسة سكن الطوارق لمدن كثيرة في بلاد السودان الغربي، ونجحوا في السيطرة على بعضها، منها مدينة ولاته، المركز التجاري المهم؛ مما أدي إلى زيادة قوتهم السياسية داخل مناطق السودان الغربي، وهو ما جعل حكام السودان الغربي يعيدون ترتيب حساباتهم سواء في الداخل أو الخارج، خوفاً من الخطر الذي يهددهم من جانب الطوارق.
- أثبتت الدراسة إسناد حكام السودان الغربي بعض المناصب العسكرية لرجال الطوارق ومنهم "مقشرن كي"؛ لخبرتهم العسكرية الواسعة.

بينت الدراسة التنظيمات السياسية المتميزة للطوراق، والتي تأثرت بها ممالك السودان الغربي، وخاصة في نظام توريث الحكم القائم على "توريث ابن الأخت".

- **قائمة المصادر والمراجع**

أولاً: المخطوطات

1. أحمد بابير الأروانـي: جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، تحت رقم 106
2. أحمد بابير الأروانـي: تاريخ تنبكت، مخطوطة محفوظة، مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، تحت رقم 2176
3. عبد الرحمن السعيدي : موجز تاريخ امبراطورية السنغى، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم 62
4. العتيق بن سعد الدين السوقي الجلالي: تاريخ الطوارق والسنغي،، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نياني، رقم 384
5. مجهول : تاريخ أكدز والطوارق، مخطوطة بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، ينامي، النيجر، رقم 120
6. محمد المفتي مرحبا : فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان، مخطوطة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، تحت رقم 108

ثانيًا: المصادر العربية

1. أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي، ت 1036هـ/1627م) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج 1 ، تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004
2. أحمد بلعراف التنبكتي : إزالة الشك والريب في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، سلسلة: من التاريخ الثقافي المشترك لأفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، بدون ناشر، 2000
3. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت 560هـ/1164م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق روبيناتشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994
4. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997

5. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت 487هـ/1094م): المغرب في بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د . ت
6. الحاج موسي أحمد كامره: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تقديم وتحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010
7. الحميري(محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900هـ/1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975
8. ابن خلدون(عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ خليل شحادة،ج6، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
9. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت 673هـ/1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1970
10. السعيدي(عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت 1067هـ/1656م): ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، نشره هوداس، مطبعة أنجي، باريس، 1898
11. العمري (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي، ت 749هـ/1348م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001
12. الغرناطي (علي بن موسي بن سعيد ت 679هـ): الجغرافيا، تحرير وتعليق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.
13. ــــــــــــــ: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، حققه خوان خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958
14. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ/1418م) : صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ت
15. مجهول: خبر السوق، تقديم وتعليق عبد الحميد الهرامة، منشورات مركز جها والليبيني للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003

16. مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1983
17. محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت 1002هـ/1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، 1913
18. المقريزي(أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، (764ـ 845 هـ/1364 – 1442م): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والتوجيه والنشر، القاهرة، 1955م
19. الوزان(الحسن بن محمد الوزان، ت 960هـ/1552م): وصف أفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة

1. آدم عبد الله الألوري : موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1965م
2. إبراهيم طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970
3. إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973
4. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999
5. أحمد أبا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2017
6. أسماء أحمد الأحمر: الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية(869 – 1000 هـ / 1464 – 1591م) ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ليبيا ، 2008
7. جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 2004
8. جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

9. جيمس ريتشارد سن : ترحال في الصحراء من 845 – 1846 ، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس 1993
10. جبريل ت . نياني : مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع : أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو ، 1988
11. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
12. ـــــــــــ : قيام مملكة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة د. ت
13. حسين سيد عبد الله مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن 2-6 هـ /8-12م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا ، الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، 2006
14. زمان عبيد وناس : تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط امبراطورية السونغاي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء 81 – 999 هـ / 700 – 1590م)، دار الأيام للنشر، عمان، 2015
15. سيسوكو، سينيكي مودي: الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ليونسكو، باريس، الطبعة الثانية، 1997
16. شارل اندرية جوليان : تاريخ أفريقيا، ترجمة طلعت عوض أباظة، مراجعة عبد المنعم ماجد، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1968م
17. الشاوي اللإله البكاي أماهين: الطوارق عبر العصور ، تحقيق أ / إصلاح محمد البخاري حمودة ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2007
18. كرم الصاوي: الفن الحربي زمن دولتي مالي وصنغي636– 1000هـ / 1238 – 1591م، دراسات في تاريخ المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الوسيط، الأفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م
19. ـــــــــــ: تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب ، ندوة التواصل العربي الأفريقي، جامعة القاهرة ، مايو 2003

20. عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961
21. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971
22. فليكس ديبوا : تمبكت العجيبة، ترجمة د . عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، مراجعة د. شوقي عطا الله الجمل ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003
23. مارمول كربخال : أفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد زنيبر وآخرين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط ، 1989م
24. محمد بن أحمد الإدريسي السوقي: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010
25. محمد عبد الرحمن عبد اللطيف : أمراء مملكة الملثمين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2003
26. محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء ، ليبيا ، ط 2 ، 1989 م
27. محمد عبد الرحمن عبد اللطيف : أمراء مملكة الملثمين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2003 ،
28. نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،1974م
29. الهادي مبروك الدالي : قبائل الهوسا دراسة وثائقية، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2009 م
30. ـــــــــــ : قبائل الطوارق (دراسة وثائقية)، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط 1، 2006 .
31. ـــــــــــ : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، مطابع الوحدة العربية، ليبيا ، 2000 م

رابعًا: الدوريات:

1. إبراهيم بن عطية الله السلمي: "مدينة تادمكة في العصر الإسلامي: من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري/القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 66، 2016

2. ابراهيم طرخان : دراسات في تاريخ أفريقية الإسلامية قبل عهد الاستعمار امبراطورية صنغى الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، السعودية، المجلد الثامن، 1981م
3. أحمد الشكري: صفحات من تاريخ ولاته، مجلة قراءات إفريقية، ع34، 2017
4. أحمد عبد الدايم حسين: تاريخ القضية الأزوادية وتطورها، مجلة قراءات إفريقية، العدد السادس عشر، إبريل – يونيه 2013
5. حسين سيد عبد الله مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، يناير 2006م
6. ـــــــــــــــ : "مملكة صنغاي"، مجلة قراءات أفريقية، العدد الثالث عشر، رجب – رمضان 1433هـ/ يوليو – سبتمبر 2012م
7. خالدي مسعود: أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، سبتمبر 2017
8. سوزي أباظة : عائلة أقيت واسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 26، القاهرة، 2004 م
9. ـــــــــــــــ : القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (898 – 999هـ / 1493 – 1591م) ، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 28، يناير 2005م
10. عبد الحميد الهرامة: تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987
11. عبد الرحمن جيلاني: هؤلاء التوارك الملثمين، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصل والشئون الدينية، الجزائر، السنة الثامنة، ع72، رمضان 1399هـ/ أغسطس 1979م
12. قمر الدين محمد فضل الله: "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468–1591"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987
13. كرم الصاوي : الصراع بين العرش والعلماء في سنغاي 869– 899هـ/1464– 1493م، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد22، القاهرة 2000.
14. هارون المهدي ميغا: إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 37، السنة 23، يونيو 2007

خامسًا: الرسائل العلمية:

1. بطل شعبان غرياني : الحرب والمجتمع في السودان الغربي (726–1000هـ/1325–1591م) رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2015م
2. حسن مرموري: الطوارق بين السلطنة التقليدية والاستعمار الفرنسي 1900–1920م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2003م
3. عبد الله موسى برزي: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا فيما بين القرنين 8 – 10هـ / 14 – 16م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوى الإسلامية، ليبيا، طرابلس، 2000م
4. عبلة محمد سلطان: العناصر المغربية في السودان الغربي، ودورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتي نهاية مملكة سنغاي، رسالة دكتوراه، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1999م
5. محمد أنور توفيق أبو علم: مملكة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 1977.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

1. Buehler,S. W.: The white monk of the Timbuktu, Harcourt, Brace and company, Second printing, New York, 1939
2. Cissoko, S.M: L`Humanism sur les bords du Niger au XVIe siècle, In presence Africaine, 1964
3. _____ : Tombouctou et L'empire songhay, Dakar, 1975
4. Conrad, D : Empires of Medieval West Africa Ghana, Mali, And Songhay, Acid-Free Paper, U.S.A 2005
5. Davidson,B. : A History of west Africa 1000 – 1800, Longman Group Limited, United Kingdom, 1977
6. Evtzion, N: The early states of the western Sudan,vol.1: The history of west Africa, In J.F. ,Ade Ajayi and Michael Crowder (Editors), Longman INC, New York,1985
7. Gouilly, A.: I'Islam dans l"Afrique Occidentales Francise, Paris,1952
8. Hall ,B : A History of Race in Muslim west Africa, Cambridge University Press. New York, 2011

9. Hamy E.T.; Tombctou, Conference Faite Au Museum D'Histoire Naturelle, Cibrairie Armand Colin, Paris, 1902
10. Hodgkin, T.: Islam and national movement in west Africa, conference on African history and archaeology, London, 1961
11. Kaba, L. : The pen, The sword, And the crown: Islam and revolution in Songhay Reconsidered 1464 – 1493, the Journal of African History, vol.25, No.3,(1984)
12. Keenan, J. : Tuareg take up Arms, Review of African political Economy, vol. 108, North Africa, power, politics promise (Jun. 2006)
13. Koubbel . L .E: Puissance De Songhay, Essai De l'étude d'un régime Socio-politique, Publications De Scientifiques, Moscou, 1974
14. Levtzion, N.: Ancient Ghana And Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980
15. ——— : "The early States of the western Sudan to 1500,in : Ajayi (Ed), History of west Africa, Columbia University press, 1989
16. ———Islam in west Africa, Religion, Society, And politics, to 1800, Ashgate publishing Limited, Great Britain 1999
17. Lovjoy, P.E. : The Role of the Wangara in the economic transformation of the central Sudan in the fifteenth and sixteenth centuries. The journal of African history, vol.19, no.2, Cambridge (1978)
18. Mcintosh, R.. J: The Peoples of The Middle Niger The Island of Gold, Blackwell Publishers, USA, 1998
19. Okafar, A : History of west Africa (in the west Africa), London, 1953.
20. Palmer H.R : The Tuareg of the Sahara. I, Journal of the Royal African Society, vol. 31, No. 123(APR – 1932)
21. ———— : The Tuareg of the Sahara : Iv, Journal of the Royal African society, vol,33 , No. 132 (Jul,1939)
22. Rasmussen, S. : Re – Formations of the sacred, the secular, and Modernity : Nunces of Religious Experience among the Tuareg (kel Tamajag), Ethnology, vol. 46, No. 3 (Summer, 2007)
23. Smith. M.G : Kebbi and Hausa stratification , The British Journal of Sociology, vol.12, No.1 (Mar 1961)
24. Tishken, J : The History of Prophecy in west Africa Indigenous Islamic and Christian, History compass, vol.5, No.5 , 2007
25. Van D., K.: Mapping Songhay space in tenth to sixteenth century west Africa, Anthropology and Aesthetics, No.98 (Autumn, 2005)